# دُوَلُ العَـرب وعُظَماءِ الإسلامِ

أحمد شـوقي

الكتاب: دُوَلُ العَرب وعُظَمَاء الإسلامِ

الكاتب: أحمد شوقي

الطبعة: ٢٠٢٣



الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail:** info@bookapa.com



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

شوقي ، أحمد

دُوَلُ العَرب وعُظَمَاء الإسلامِ / أحمد شوقي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٠٨ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٣ – ٦٩٠ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٥٣٣٦ / ٢٠٢٣

# دُوَلُ العَرب وعُظَماء الإسلامِ





# مقدمة

الحمدُ لله القديمِ الباقي     ذي العرش والسَّبعِ العُلا الطِّباق

الملِكِ المنفردِ الجبَّار     الدائمِ الجلالِ والإكبار

وارثِ كلِّ مالكٍ وما مَلَكْ     ومُهلك الحيِّ ومُحيي مَن هلَك

منزِّلِ الذِّكر بخير الألسنِ     مشتملًا على البيان الأحسنِ

أوحى إلى رسوله ما أوْحى     من كلِّ غرَّاءَ تُضيء اللوْحا

وقصَّ أنباء القرون في السُّوَرْ     مَواثِلَ الحسن كأمثال الصُّوَرْ

وأفضلُ الصلاة والسلامِ     على أجَلِّ رسُلِ السلام

من بلغتْ أُمته به الأربْ     ورفعتْ همَّتُه ذكرَ العربْ

صلَّى عليه الله في سمائهِ     وعرشهِ السابحِ في أسمائه

وجعل الجنةَ من رِحابهِ     وزفَّها لمحسني أصحابهِ

خلائفِ الحقِ أئمة الهدى     الرافعين بَعده ما مَهَّدا

الفاتحين بالقنا للحقِّ     المنقذين من قيود الرقِّ

وجعل الخُلْدَ نظامَ الآلِ     ومن تلا الوُسطى من اللَّآلي

بني عليٍّ وبني العباس     زواخرِ الجودِ، أُسودِ الباس

الأكرمين نسبًا مُطهَّرا     الأرفعين حسَبًا ومظهرا

وبعدُ، فاسمعْ يا بُنيَّ وافهمِ     لا تأخذِ الأمور بالتوهُّمِ

لمَّا رمى الله بهذي الحربِ     على بني الشرق وأهل الغربِ[1]

لحكمةٍ يعلمُها تعالى     يملأ من أسرارها الأفعالا

(١) الحرب العالمية

يُبرزها غدًا من الخِباءِ     إنَّ غدًا يأتيك بالأنباءِ
تحركت سواكنُ الأقدارِ     واطَّردت عواملُ الأكدارِ
وحكمَ الله بهجرةِ الوطنْ     وطالما ابتلَى بها أهلَ الفِطَنْ
فكنتُ أستعدِي على الهمومِ     بناتِ فكرٍ ليس بالملمومِ
أستدفِع الفراغَ والعَطالهْ     وبطلٌ مَن يقتلُ البَطالهْ
حتى أراد الله أن نظمتُ     من سِيَرِ الرجال ما استعظمتُ
عِلمًا بما تبعثُ في الأحداثِ     جلائلُ الأعمال والأحداث
إن الصبيَّ ما تُغذِّيه اغتذى     فاكثرْ عليه في المثال المحتَذَى
واخترتُ بحرًا واسعًا من الرَّجَزْ     قد زعموه مرْكَبًا لمن عجَزْ
يروْن رأيًا وأرى خلافَهْ     الكأسُ لا تُقوِّمُ السُّلافَهْ
وقيمةُ اللؤلؤِ في النُّحورِ     بنفسه وليس بالبحور
شعرٌ لزِمتُ فيه ما لا يَلزمُ     وتركُه أليقُ بي وأحزمُ
والحُسنُ ما لم يكُ في الكلام     عرَّضك التحسينُ للملام
جاريتُ بالصَّلدِ النَّميرَ الجاري     قد يخرجُ العذبُ من الأحجار
دعا التحدِّي خاطري فلبَّى     يحذو مِثالَ السَّلَفِ الألِبَّا
وما أيِستُ من كريمٍ يُغضي     ولا أمنت حاسدًا ذا بُغضِ
وربما صُغتُ من الأمثالِ     ما جاوز الجُرأةَ من أمثالي
ليجدَ الناشئُ في الجديدِ     من لذةٍ ما ليس في الترديدِ
فإن تجد عيبًا فكن عينَ الرضى     أو مُرَّ مرَّ الكرماءِ مُعرِضا

# لغةُ العرب

تبـارك الـرحمنُ ذو الإحسـان ... مميِّـزُ الإنسـان باللسـانِ
لـولاه لم يـنهضْ بسـائر الـنِّعَمْ ... ولا عـدا في الأرض سـائمَ الـنَّعَمْ
فهـو أداةُ العلـم والبيـانِ ... وهيكـلُ الحكمـة والأديانِ
ومفجَـرُ الفكـر والاخـتراعِ ... ومُسـتَقَى اللَّهـاة[1] والـيراعِ
وصَـدَفُ المنظـومِ والمنثـورِ ... ومُصـحَفُ المعلـوم والمـأثورِ
ومُسـكةُ العُمـرانِ بـين النـاسِ ... علـى العصـور وعلـى الاجنـاسِ
رُبَّ لسـانٍ جمـع الأقوامـا ... وكـان كـالجنس لهـم قِوامـا
واستمسكتْ واعتصمتْ به الفِطَنْ ... كعُـروَةِ المِلَّـةِ أو حبـلِ الـوطنْ
وربَّ شـعبٍ نال مجـدًا باللُّغـهْ ... لم يبلـغِ الأقـوامُ فيـه مبلَغـهْ
كانـت لـه في ظلِّهـا حضـارهْ ... رفَّـتْ نعيمًـا وجـرتْ نضـاره
سالت على الأجيال من ضياء ... وأترعـتْ قـرائحَ الأحيـاءِ

* * *

وكـلُّ حُسـنٍ كـامنٍ أو بادِ ... أودعـه الله اللسـانَ البـادي
هذَّبـه العَـرضُ علـى الأذواقِ ... فيمـا يُقـيمُ القـومُ مـن أسـواق
علـى عُكـاظَ[2] تتبـارى الجِنَّـهْ ... وفـوق ذي[3] المجـاز والمجنَّـهْ
ويخطـبُ الكُهَّـانُ في المواسِـم ... سـجْعَ الحَمـام في الـرُّبا النواسِـم

---

(1) اللسان.

(2) متسوَّقٌ للعرب بصحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يومًا، وقيل شهرًا، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون.

(3) سوقان للعرب من طراز عكاظ.

فتأخـــذُ القبائـــلُ البيـــانا أخْـذَك مـن مَعدِنـه العِقيـانا
مُهــــذَّبًا مُنقَّحًــــا مُنقَّـــى مُلقَّنًـــا مـــن نفســـه مُلَقَّـــى
في شِـرعةِ القـول هـو النَّمـيرُ[٤] وهـــو علـــى عيونـــه الأمـــيرُ
مـن لفـظِ إسماعيـلَ فيـه حُسْـنُ تعشَّـــقتْه في الرســـول اللَّسْـــنُ
بــــه تحلَّـــى وبـــه تبـــاهى وبَـــزَّ في الفصـــاحة الأشـــباها

* * *

ولم يـــزلْ تاجَهـــمُ الكـــلامُ والأُمـــراءُ الصَّـــاغةُ الأعـــلامُ
مُجمَّلـــين باللســـان الأبْـــيَنِ بمثلِـــه يـــونانُ لم تَـــزَيَّنِ
حـــتى حبـــاه الله بالجزيـــلِ واختـــاره للـــوحي والتنزيـــلِ
شـــريعةٌ فجَّرهـــا بحـــرانِ بالعلـــم والحكمـــة يزخَـــرانِ
طـامٍ مـن الـوحِي فُـراتُ المشـرعِ في زاخـرٍ مـن الحـديث مُـترَعِ
فاضـا علـى الصِّـيدِ مُلـوكِ البيـدِ بَـــنى زُهـــيرٍ وبـــني لَبيـــدِ
فـــأوردا القـــرائحَ القَراحـــا بـل وَجـدوا مـاءً فكـانا الراحـا
فـلا تسـلْ عـن نهضـةِ العقـولِ وكثـــرةِ المعقـــول والمنقـــول
ومـا أطـال الـدين مـن بُنيـانِ للعلـــم في الـــدنيا وللبيـــان
ظلَّـتْ تُعـينُ المُصـلحينَ الضـادُ وظـــل للعلـــم بهـــا اعتضـــادُ
حـتى اسـتقلَّتْ دَولـة الرشـيدِ ونهضـــتْ بركنهـــا المَشـــيدِ
تُعيرهـــا فـــارسُ واليـــونانُ كمـــا تَهـــادى الزهَـــرَ الجِنـــانُ
وكــــلُّ وَردٍ رائــــعٍ غريـــب في أرض جُـــورٍ لـــيس بالغريـــبِ
مـا أخـذتْ غـيرَ صَـفيِّ الـرُّوحِ كـاللطفِ مـن روحٍ سـرَى لـروحِ
تـرى الـدخيل بالأصـيل أشـكلا لم يُفسِـدِ القـومُ عليـه الهـيكلا

---

[٤] الماء الصافي.

ما وسِع العلمَ والاختراعا ... أرحب منها في اللّغى ذراعا
توطّنتْ مُختلِفَ البلادِ ... واحدةَ المَغْرسِ والميلادِ
كالشمس، بنتُ الفلَك المُدارِ ... وكم على الأرضَ لها من دارِ
الأرضُ شتَّى والبيانُ مؤتلِفْ ... كالراح دارتْ في إناءٍ مختلِفْ
اغترفَ الوليد من جريرِ ... والمتنبّي قائد الضرير[٥]
وحثَّ في الشرق النواسِيُّ القدحْ ... وفي رُبا الغرب الخفاجيُّ صَدَحْ[٦]
في كل غَنّاءَ هَزازٌ شادِ ... وكلُّ ظلٍّ موضِعُ الإنشادِ
هذا لسانُ القوم يا بُنيَّا ... على أساسٍ ثابتٍ مَبنيَّا
أوديةٌ تُنضي [٧] الخيالَ فُسحه ... جَرتْ عليها للجَمال مَسْحهْ
تنزلُها أوانسُ المعاني ... بين مَعينِ اللفظ والمعانِ[٨]
لسانُك الأولُ في الكتّابِ ... ولُغةُ الصَّبْوَة والعتابِ
فخُضْ عُبابَ فقهِه وسرِّهِ ... وغُصْ على صحيحه وحُرِّه
لا ترْضَ منه مَبلغَ الرِّعاعِ ... وحِصَّةَ الأعمَى من الشُّعاعِ
واقرأْ علومَ السَّلَفِ الأعلامِ ... فإنها مَعالِمُ الكلامِ
رُبَّ قديمٍ كشُعاعِ الشمسِ ... ابنِ غدٍ واليومِ وابنِ أمسِ
وخلِّ ما زَيَّفَتِ الليالي ... وما نفتْ صيارفُ[٩] الأجيالِ
ولا تضَعْ من الجديد كلِّه ... يَفُتْك وضعُ الشيء في محله
ربَّ جديدٍ عنده المُعوَّلُ ... وربَّ كنزٍ لم يُثْره الأولُ

---

[٥] إشارة إلى أبي العلاء.

[٦] ابن خفاجة الأندلسي.

[٧] تسيله.

[٨] المعان: المباءة والمنزل.

[٩] ما رفض النقاد من الأجيال.

إن طريـــقَ العقـــل لا يُسَـــدُّ ومَـــذهبُ الأفكـــار لا يُحَـــدُّ

بـــين الجديـــدِ والجديـــدِ مَيِّـــلِ لا تتَّبـــعْ طريقـــةَ الشُّـــمَيِّلِ[10]

لا تخلِــطِ الأعجــامَ بالأعــرابِ تَحجِلْ – وقاك الله – كالغُرابِ!

وكلُّ ما لم يُرْمَ عن قوسِ العربْ فليس في نبعٍ لهم ولا غَرَبْ[11]

فــاجرِ علــى محاســنِ اللســانِ تُجَــلِّ في مــوطنِ الإحســان

وامــشِ بآدابِ الكتــاب تهتــدِ وقِفْ بأبواب الحديث واجتهِدِ

همــا همــا القالــبُ فيــه يُفــرَغُ ومَعدِن الحسْنِ الذي لا يفرَغُ

---

[10] كاتب مفكر وطبيب كبير كان يعيش في الجيل الغابر، وكان له مذهب في التجديد يبالغ فيه.

[11] شجر يقال له سهم غرب كما يقال سهم نبع، وهو شجر أيضًا تُتخذ منه السهام.

# التاريخ

مَن سخَّر الصخرَ الأصمَّ للقلمْ ... حتى جرى نورًا عليه في الظُّلَمْ؟
يُضيءُ أثناءَ الصفا وطورا ... يَنجُدُ كهفًا بالسَّنى وغوْرا[1]
لكل شيءٍ عُنصُرٌ ومَنْحِتُ ... وما أبو الأقلام إلا المِنحتُ[2]
كم دُمْيةٍ مما جلا مُخلَّقهْ ... مُغنيةٍ ما أغنتِ المُعلَّقهْ
قديمةٌ تُعرِّفُ الحديثا ... حادثةً في الدهر أو حديثا
قد نشأ التاريخ في حِجْر الحَجرْ ... وشبَّ ما بين الكهوف والحُجَرْ
أليس في الصخر وفي الأديمِ ... جُلُّ حديثِ العالَمِ القديمِ؟
ويا سقى بَرْدِيَّ[3] مصرٍ ساقِ ... يُمرِعُه من عَذَبٍ لساقِ
ولا يزل رهينةَ الخزائنِ ... من كرم ضنينة المدائنِ
يُفدَى وإن جفَّ بليِّن السَّرَقْ[4] ... ما آيةُ الخزِّ كآيةِ الورقْ
ساق إلينا الثمرَ العُجابا ... وأنجبتْ أوراقُه إنجابا
لا كالرياحينِ ولا البقولِ ... لكن تبنَّى ثمرَ العقولِ

* * *

سبحانَه قصَّ حديثَ آدمِ ... على تنائي العهد والتقادُم
ورفع التاريخ أعلى مَنزِلهْ ... بنصِّه في كُتبهِ المُنزَّلهْ

---

(١) الصفا الحجر، وكل هذا إشارة إلى النقوش والكتابات في الكهوف والأحجار.

(٢) المنحت: المعدن، من منحت الحجارة وهو موضع نحتها والمراد النقوش على الحجارة والآثار.

(٣) البردي نبات كالقصب كان قدماء المصريين يستخدمون قشره للكتابة.

(٤) الحرير.

بــين الأناجيــل عَلَــتْ أُصــولُهُ وفي الحــواميم[٥] غَلَــتْ فصــولُهُ

ألم يــكُ التــاريخُ ظِــلَّ العــالَمِ وأقـــدمَ الأعـــلام والمعـــالِمِ؟

تـــوهَّمَ الخُلْـــدَ بـــه الأوائـــلُ وظـــنَّ أنْ نال البقـــاءَ الزائـــلُ

وطُلِـــبَ الصِّــيتُ بـــه قـــديما والــذِّكْرُ فــوق الأرض مُســتديما

والـــنفسُ ترجـــو هِمَّـــةَ الخلـــودِ في العلـــم والبُنيـــان والمولـــودِ

تَـــوهَّمُ الحيـــاةَ بعـــد مـــوتِ وتـــزعمُ الوجـــدان بعـــد فَـــوتِ

ضــاقتْ علــى النوابــغ الآجــالُ فكـــان في الـــذِّكْر لهـــم مَجـــالُ

في كــل ذي روحٍ هــوى الحيــاةِ أودعـــــه مُصـــــرِّفُ الآيات

فكُــنْ إذا أحببتَهــا فخْــمَ الهــوى لا تــكُ والشــاةَ علــى حــدٍّ سَــوا

انظُــرْ إلى الآباءِ كيــف هــاموا بالخُلْــدِ واحتالــت لــه الأفهــامُ

رمسيسُ وهُــو في البِنــاءِ مَــن هُــوَا تعشَّــقَ الــذِّكرَ فغــالى في الهــوى

مــا زال حــتى غَصــبَ الآثارا علـــى الملـــوك قبلَـــه اســـتئثارا

أخَّـــرَ في عصـــورها وقـــدَّمَا وانتحَـــلَ المُرَقَّـــعَ المُهـــدَّما

يَســـرِقُ آثارَ بـــني أبيـــه ومـــا لِمـــا شَـــيَّدَ مـــن شـــبيهِ

* * *

مَــن دَرَسَ التــاريخَ أو مَــن دَرَّسَــهْ يمضــي الزمــانُ وهمــا في المدرســهْ

لا يبلغـــان في الكتـــاب غايـــهْ ولا الكتـــابُ بالِـــغ النهايـــه

ذاك كتـــابُ النـــاس والأيامِ مـــن آدمَ الجَـــدِّ إلى القيـــامِ

تأنَّـــقَ الـــدهرُ بـــه مـــا شـــاءَ وأتقـــن التـــأليفَ والإنشـــاءَ

أنفـــقَ فيـــه زمـــنَ الشـــباب ومـــا أتمَّ فيـــه غـــيرَ باب

يكـــبُرُ أن يَطويَـــه السِّـــجِلُّ وعـــن نوائـــب البِلـــى يجِـــلُّ

---

[٥] سور القرآن.

عالٍ على كفِّ المُغيرِ الماحي ... ولو مشتْ عليه بالرماحِ

مستهزئٌ بالغاشمِ البليدِ ... تهازؤَ المصحَفِ بالوليدِ[٦]

لا يمَّحي من الجميل ما رسَمْ ... ولا يزول في القبيح ما وَسَمْ

فإن وجدتَ خاطرًا مُطالبا ... ونازعًا من الطباع غالِبا

فقِفْ على آثار أعيان الزمنْ ... واغشَ الطَّلولَ وتنقَّلْ في الدِّمَنْ

وعالِجِ النجْوى والادِّكارا ... يُهيئا للحكمةِ الأفكارا

فالرُّوحُ في التاريخ الاعتبارُ ... وحكمةٌ تُودَعُها الأخبارُ

وخُذْه من مُحقِّقٍ أمينِ ... ومَيِّزِ الغَثَّ من الثمينِ

إياكَ والمُؤرِّخَ المِقَصَّا ... ما كلُّ مَن قصَّ فقد تقصَّى

وقدِّمِ المُعبِّرَ المُبينا ... تجدْه في مَظلمَةٍ مبينا

وتَلْقَ منه جَوْهَرًا أو صائغا ... وتُسْقَ في الفضةِ عَذْبًا سائغا

فمن كريمِ الشعر والبيانِ ... عينان في التاريخ يجريان

لولا أوابِدٌ[٧] من البوادي ... مشتْ على أيامِها العوادي

الشعرُ بعد موتها أحياها ... في شعرِها تمثَّلتْ دنياها

وإن ملكتَ مرةً أن تصنَعهْ ... فاخشَ بأن تخلُقَهُ وتصنَعَه

وهبْه لم يأْمَنْ عواديَ العبَثْ ... أليس كالكير[٨] الذي يَنفي الخَبَثْ

ما أقبح الكِذْبَ على الرُّفاتِ ... والكِذبُ من أراذِلِ الصفاتِ

من غشَّ نفسًا جَمَعَ المظالما ... ماذا ترى فيمن يغشُّ عالما؟

---

[٦] إشارة إلى قصة الوليد مع المصحف.

[٧] الأوابد الغرائب

[٨] زقٌّ ينفخ فيه الحداد.

# الوطن

وجانبٍ من الثرى يُدعَى الوطنْ مِلْءُ العيونِ والقلوب والفِطنْ
مُزَيَّنٌ للآدميّ العاقلِ وكلّ سهْليّ[1] وكل عاقلِ[2]
والأسدِ الخادرِ في البوادي والنَّملِ فيما اتخذتْ من وادِ
ونَزْعةُ الناس إلى أوطانها كنَزْعةِ الإبْل إلى أعطانِها
يُحبُّه الأقوام منذ كانا ولا يُساوون به مكانا
إذا أتاهم أَيْسَرُ النّداءِ مِنه جَرَوْا لغاية الفداءِ
أو ذُكِر الحنينُ والحِفاظُ لم تجرِ إلا باسمه الألفاظُ
كم من دماءٍ سِلنَ حولَ حوضِهِ ومن عُروضٍ زُلنَ دون عِرضهِ
وفي سبيله قضى رجالُ من أن يُلاقَوْا تستحي الآجالُ
وباسمه كم تاجَرَ الفُسَّاق وانقادتِ الناس لهم فساقوا

* * *

وتَكرُمُ الدارُ على الحرِّ الأَبي كرامةَ الأمِّ عليه والأبِ
وليس من عِرضٍ ولا حريمِ تحميه فوق الوطن الكريمِ
الجسمُ من تُربته ومائهِ والرُّوحُ رَوْحٌ هبَّ من سمائهِ
وكلُّ ما حولك من هِباتِهِ وما وَلدْت فهو من نباتِهِ
أمانةُ الأوَّلِ عند الآخر خِزانةُ الآثار والمفاخر
وحوضُ ما جفَّ من الشبابِ وقَصَفَ الدهرُ من الأحباب
ورَسْمُ ما بان من الليالي وأثرُ الأيام في الخيالِ

---

[1] ساكن السهل.

[2] ساكن الجبل كالوعل.

ومُخِلــقُ الشــبابِ والمشــيبِ — ومُلـبسُ البـالي علـى القشـيبِ
وفي ثـــراه البلقَـــعِ اليَبـــابِ — ما شِئتَ من أهلٍ ومن أحبابِ
وَفَى لـــه مـــن لـــيس بالـــوفيّ — وهـــشَّ مـــن لم يـــكُ بالحَفِـــيّ

* * *

والمُلْــكُ كالنــاسِ لــه أوطــانُ — يَنظِمُهـــا للأمـــم الســـلطانُ
يَـدينُ جـنسٌ سـائرَ الأجنـاسِ — ويَـــــــدَّعي ناسٌ وَلاءَ ناسِ
يأتمـــرُ الضـــعيفُ بالقـــويّ — ويأمُـــرُ الراشـــدُ في الغَـــوِيّ
في دُولـــةٍ ممـــدودةِ الطّـــرافِ — مشـدودةِ البُهـرةِ[3] بالأطـرافِ
بلَّغهـــا العنـــفُ ذُرا الإقبـــالِ — كـــالريح تَبـــني المـــاء كالجبـــالِ
هبَّــتْ ضُــحًى عليــه فــاشمخرَّا — وركـــــدت عشـــــيَّةً فخـــــرَّا
رومــا الــتي راع اتّســاقُ مُلْكهــا — وَهَتْ يواقيت القرى مِن سلْكِها
أمست هوتْ عن عرشها المُعظَّمِ — وأصـبح التـاجُ كـأن لم يُـنظَمِ
لم تَتَّـــــقِ اللهَ ولا الأيامَـــــا — في أُمـــمٍ سَـــبَتهمو أيامَـــى
بنـــو الزمـــان، فـــوقهم بنُوهـــا — تكـــبُّرًا وسُـــنَّة سَـــنُّوها
ومــا لهــم مــن وطــنٍ ســواها — علـى تـداني الـدار أو نواهـا
كثـــيرُ أوطـــانٍ بـــلا التئـــامِ — وأُمَـــمٌ شـــتَّى بـــلا وِئامِ
وجَمْـــرةٌ في كَبِـــد المنقـــادِ — ولاعـجٌ مـن كـامن الأحقـادِ
وكـــلُّ فـــأس وقعـــتْ في الـــدار — تنـــــزل بالأُسّ والجـــــدار
فحكَـــمَ الله علـــى الرومـــانِ — وأدركـــتْهمْ سُـــنَّةُ الزمـــانِ
لِـــترثَ الأيامَ شُـــبَّانُ الأمـــمْ — والإرْثُ للشـباب حـق مـن أمَـمْ
وأنجـــزَ الله النـــبيَّ وعـــدهْ — وســـاد قومُـــه الزمـــانَ بعـــده

---

(٣) الوسط

فورثــوا قيصـــرَ في المشـــارقِ وأخـذوا الغـرب بسـيف طـارقِ

وأمَّنـــوا الأمصـــار فاتحينـــا وعَـــدَلوا في العـــالَمينَ حينـــا

واتخــذوا كُــلَّ القــرى أوطــانا وحاســنوا الأهلــين والقُطَّــانا

فحيـــث حَــلَّ العــربيُّ حيَّــا مـــن المـــلا قبيلـــةً وحيَّـــا

وشـاطر الأرضَ علـى التسـاوي محاســنَ الأقــوام والمَســاوي

حــتى انقضــى ســلطانُهم وزالا وفضـــلُهم باقٍ ولـــن يـــزَالا

تغـــيَّرت كـــدأْبها الـــبلادُ وانتقـــل الزِمـــامُ والمقـــادُ

وديـنُهم بـين الشـعوب ديـنُهمْ يُعيــي علــى الأيام مَــن يَــدينهمْ

وذلــك اللســانُ باقٍ لم يَــزَلْ يمضـي عليـه مَن جـلا ومَن نَـزَلْ

لم يبـقَ منهمـو سـوى الأصـواتِ وعجَـــبٌ تكلُّـــمُ الأمـــواتِ

# البيتُ الحرام

دارٌ عليها مِيسَمٌ[1] من القِدمْ حُجَّت على أول خُفٍّ وقدمْ

مَهدُ الهدى في الأولين رُكنُها وحصنُه في الآخرين صحنُها

تلك جِباهُ الرُّسْل في ترابها وخدُّ إبراهيمَ في مِحرابها

غنيةٌ عما كساها أسعدُ[2] في الدهر وهو بالثناءِ أسعدُ

وكم جلاها في اليماني المُسْبَلِ من قَبِلتْ منه ومن لم تَقْبَلِ

لا تلمسنَّ وشْيَها ضريرا رُب عَروسٍ تلعَنُ الحريرا

* * *

تواضعتْ بين شِعاب الوادي لم تتخذْ تبذُّخَ الأطوادِ

لم تُبْنَ بالصُّفَّاح والصَّوَّانِ[3] ولا علتْ تعالِيَ الإيوان

لا يدُ خُوفو[4] أرهقت فيها البشرْ ولا سليمانُ لها الجنَّ حشرْ

بل صُنْعُ شيخٍ مُقبِلٍ مُزاولِ أُعِينَ بابنٍ يافعٍ مُناولِ[5]

قد رفعاها حجرًا فوق حجرْ ووضعا فيها على اليُمن الحجْر[6]

الله يُوحي والأمينُ يشهدُ وتخشعُ الأرضُ ويعلو المعهدُ

حتى تجلَّتْ قبةُ الإيمان ممدودةَ الظل على الزمان

---

[1] جمال.

[2] من كسا الكعبة الوصائل والمُلاء، وإنه أول من كساها.

[3] الحجارة العظيمة.

[4] فرعون مشهور.

[5] هما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

[6] الحجر الأسود.

وركنُهـا كـأمسِ في أم القـرى[٧] تُطوَى القباب والقصورُ والقرى

دعــائمٌ مــن خَشــيةٍ وتقــوى علــى تطــاول الزمــان تقــوى

ومــا بــنى الحــقُّ لــه الثبُــوتُ ومــا بــنى الباطــلُ عنكبــوت

تقبَّـــل الله مــــن الحـــواري[٨] واخـــتصَّ بالبيـــت وبالجـــوارِ

واختــار مــن عبــاده قبــيلا للبيـــت يَهـــدونهمو الســـبيلا

أُولُــو الإلــه الكرمــاءُ عهــدا النــازلو البيــت العتيــقِ مهــدا

الراضــعو زمــزمَ في الهــواجِرِ وهــي تَــدِرُّ مــن بَنــانِ هــاجَرِ[٩]

غُـــرَّةُ آبائهـــمُ الـــذبيحُ[١٠] والأمهــاتِ جُــرهُمُ الصــبيحُ[١١]

أبنــاءُ إسماعيــلَ حــول بَكَّــهْ[١٢] تضــوَّعت مــنهم شِــعابُ مكــهْ

بيتهمـــو محبوكـــةٌ مفـــاخرُه أوَّلُـــــه نُبـــــوَّةٌ وآخـــــرُهْ

* * *

انتشــروا قبــائلًا علــى الــزمنْ مِــلْءَ الحِجــاز والشــآم والــيَمَنْ

بَـــدْوٌ بكـــل نَشـــزٍ وقـــاعِ وحَضَـــرٌ في عـــامر البقـــاعِ

تنقَّلَـــتْ فـــيهم دياناتُ الأوَلْ تنقُّـــلَ الأيام فِـــيهم والـــدُّوَلْ

والـــدِّين بـــين القـــدماءِ عَـــدْوَى يقطـــعُ أجـــوازَ القِفـــار عَـــدْوا

---

[٧] مكة.

[٨] إبراهيم عليه السلام.

[٩] زوجة إبراهيم عليهما السلام.

[١٠] إسماعيل.

[١١] جد حي من العرب البائدة.

[١٢] بطن مكة.

نارُ المَجـــوس وجـــدتْ مجـــازا وابـنُ سـنانٍ[١٣] أنقـذَ الحِجـازا

بقيـــــةٌ تــــؤمنُ بالجليـــــل يتَّبعـــــون مِلَّـــــةَ الخليــــلِ

وعُصـبةٌ علـى هُـدى الأحبـارِ أهـلُ كتـابٍ يعبـدون البـاري

آلُ ابـنِ عِمـرانَ أو ابـنِ مَريَمَـا فمـن بهاتيـك الشِّـعاب خيَّمـا؟

وفِرقـــةٌ دَهريـــةٌ جُحَّـــادُ عــن كـل ديــنٍ لهمــو إلحــادُ

وآخـــرون افتتنـــوا بالنـــار أو ســجدوا للكواكــب المُنــارِ

أو ألَهَّـوا مـا نحتـوا مـن الحجـرْ أو عبدوا ما استنبتوا من الشجرْ

وغـــــيرُهم بالحيـــــوانِ دانا وقـــدَّسَ الأرواحَ والأبـــدانا

كـــلٌّ مـــن الحـــيرةِ والضـــلالهْ يعشــو[١٤] إلى القــوة والجلالــهْ

قد هجروا الشمسَ إلى الأياةِ[١٥] وجــاوزوا المُحيــي إلى الحيــاة

وبلبلـــت ألسُـــنَهمْ أسمـــاءُ فكثُـــرتْ في حُبِّهـــا الأسمـــاءُ

* * *

مكـةُ دارُ المُلْـكِ والبيـتُ الملِـكْ تُمسي الوفود[١٦] في سُراها تَهتلِكْ

واتفقـــوا في الحـــب والتَّجِلَّـــهْ علــى اخــتلاف مــذهبٍ ومِلَّــهْ

يجمعُهــمْ مــن كــل سـهلٍ وجبـلْ ضوابحَ[١٧] الخيل روازحَ[١٨] الإبل

---

[١٣]في ابن الأثير أنَّ نارا ظهرت ببلاد العرب في الجاهلية فكانت فتنة لهم وكادوا يتمجَّسون، فأطفأها خالد بن سنان العبسي.

[١٤]يجيء إلى.

[١٥]الشعاع.

[١٦]مسيرها بالليل إلى البيت.

[١٧]أي تُسمع أنفاسها من شدة العدو.

[١٨] أي منطرحة إبلهم إعياء.

يَسْدِنُ[١٩] ساداتُهُمْ قبابَه … ويحجُبُ الصِّيدُ السُّراةُ بابَه

وهاشِمُ السُّحْبُ سُقاةُ الوفد … الغامرون غيرهم بالرَّفد[٢٠]

دارٌ لأقوامٍ مُجاورينا … ومَنسَكٌ[٢١] طُهْرٌ لآخرينا

ومَوسِمُ السَّوْمِ[٢٢] والاكتسابِ … ونَدْوَةُ النداءِ بالأنسابِ

ومِنْبَرٌ حَفَّتْ به القبائلُ … إيادُ[٢٣] من أعواده ووائلُ

قِسْ في النُّهى قُسًّا[٢٤] إلى سُقراطِ … يتَّزِن القيراطُ بالقيراطِ

كان مَسيحيًّا وكان فاضلا … وكان عن حقيقةٍ مُناضلا

مُحمدٌ من ناقلي عِظاتِهْ … والصاحب الصِّدِّيقُ من رُواتِهْ

وحَرَمُ الآدابِ والأخلاقِ … وكيف لا وهو حمَى الخلَّاقِ

لا يُنطَقُ الهُجْرُ به والإفكُ … ولا يَحلُّ للدماء سَفْكُ

ومَعبدٌ مُشتركٌ مُشاعُ[٢٥] … كلُ العبادات به مَشاعُ

أعجبُ منه لم يرَ الأنامُ … يُعبدُ فيه اللهُ والأصنامُ

فالبيتُ خالي الجنباتِ عاطلُ … يجاورُ الحقَّ عليه الباطلُ

يُحَجُّ للبِرِّ وللخِلالِ … وتارةً لله ذي الجلالِ

كلُّ فريقٍ حول ما أحبَّا … وكل قوم يعبدون رَبًّا

تسمُّحٌ للعرب القُرومِ … لم يُلفَ في الفرس ولا في الرومِ

---

[١٩] يخدم.

[٢٠] الرفد: العطاء.

[٢١] متعبد.

[٢٢] المساومة.

[٢٣] إياد ووائل قبيلتان.

[٢٤] عربي خطيب حكيم.

[٢٥] المُشاعُ والمشاع واحد، وهو غير مقسوم.

سُــقراطُ لــو جــاورهُمْ مُعــافَى     لم يَــذقِ الســجنَ ولا الزُّعافــا

# السيرة النبوية الشريفة

مُحمدٌ سُلالةُ النُّبُوَّةْ ... ابنُ الذبيح[1] الطاهرُ الأبُوَّةْ
العربيُّ طينةً نبيلةْ ... القُرشيُّ الباذخُ القبيلةْ
أبوه ذو النور الجميلُ الجَعْدُ ... ومُرضِعوه الفُصحاءُ سَعدُ[2]
وبيتُه النجمُ الرفيعُ شُهرةْ ... ونبعتاه هاشمٌ[3] وزهْرَةْ

* * *

قد نزل اليُتْمُ به جنينا ... لم يتهيَّبْ سيدَ البنينا
فنهضتْ بأمره العنايةْ ... تُحسِنُ في نشْأَتِه البنايةْ
لمَّا حواهُ آلُه يتيما ... حوى فريدًا سِلكُهم يتيما
من شَيْبةَ[4] المباركِ الأغرِّ ... إلى أبي طالبِ الأبرِّ
ولا حُنُوَّ كحنوِّ الجَدِّ ... ورُب عمٍّ من هِبات الجَدِّ
فشبَّ حُلوًا سَمْتُه[5] ودَلُّهُ ... ليس له من اليتيم ذُلُّهُ
مُرتسِما في أدب الإسلام ... من اجتناب الخمر والأزلامِ[6]
مُنحرفًا عن الدُّمي صبيا ... وهكذا من يُجتبَى نبيا
مُبرَّأً من نَزقٍ وطَيْشِ ... وخُيَلاءَ في بني قريشِ

---

(1) إسماعيل.

(2) حيٌّ من العرب.

(3) هاشم: أبو عبد المطلب جدِّ رسول الله لأبيه، وزهرة: أبو عبد مناف جدِّه لأمه، وكلاهما من سادات العرب.

(4) اسم عبد المطلب جد رسول الله.

(5) السَّمْت: حسن الهيئة، والدَّلُّ: السكينة والوقار وحسن السلوك.

(6) سهامٌ كانت الجاهلية تستقسم بها.

مُلقَّبًا في البلد الأمينِ     دون بني الأعيان بالأمينِ
مُجمَّلًا بالصدقِ في صِبائِه     والصدقُ كان من حُلَى آبائِه
حتى جرى لغاية الرجالِ     فلم يزل مُجَلِّيَ[7] المجالِ
فاتَ قريشًا بمكارم الخُلُقْ     مثلُ ابنِ عبد الله للسبقِ خَلُقْ
قد حاز من مواهب السعادهْ     ما لا يحوزُ بَشرٌ في العادهْ
أكرمُ من صَوْب الحيا نصابا     وأجودُ الناس بما أصابا
وقائدُ الخيلِ فتًى وكهلا     وكان في المهد لذاك أهلا
إن حاد في الكرب الكماةُ لم يَحِدْ     قد علمتْ ذاك حُنَيْنٌ[8] وأُحُدْ
وذائدُ الحقوق والمُحامي     عن جارِهِ وواصلُ الأرحامِ
الأصبحُ الأفصحُ في المجامعِ     الحُلوُ في العيون والمسامعِ
إن الجمالَ حِليَةُ الأقمارِ     ما أضيعَ الحسنَ على الأغمارِ
من جِرْيَةِ الوحي على لسانهْ     أعيا المجيدين مدى إحسانهْ
حديثُه حلَّاه إسماعيلُ     وبلَّه بريقهِ جبريلُ
حِلْيةُ مَن صاغ الكلام وعَلِمْ     وكيف لا وهو جوامع الكَلِمْ

* * *

كان رسولُ الله في شبابهِ     لا يَدعُ الرزقَ وطَرْقَ بابهِ
أيُّ رسولٍ أو نبيٍّ قبلَهُ     لم يطلب الرزقَ ويَبْغِ سُبْلَهُ؟
مُوسَى الكليمُ استؤجر استئجارا     وكان عيسى في الصِّبا نجَّارا
من أحسن الأمثالِ فيما أحسَبُ     الخُبزُ لا يُعطى ولكن يُكسَبُ
والرزق لا يُحرَمُه عبدٌ سعى     مُضيَّقًا عليه أو مُوسَّعا

---

[7] الجواد الأول في السبق.

[8] من غزوات رسول الله.

لا تألُ لا سعيًا ولا تُكَسلانا — لا ينفعُ التوكُّل الكسلانا
كان قُبَيْلَ البعثِ رَبَّ مالِ — وتاجرًا مُيسَّرَ الأعمالِ
يَضربُ في حَزْنِ الفلا وسهلِهِ — بمال عمّه ومال أهلِهِ
مُبارَكَ الرّحلةِ والإقامةْ — مستصحِب الجِدِّ والاستقامةْ
وليس للتاجر من ضمانَةْ — أبقَى ولا أوْفَى من الأمانةْ
والرزقُ بين الناس بحرٌ جارِ — شِراعُهُ يُرفَعُ للتجَّار
وما تلقَّى الرزقَ باليمينِ — في الناس مثلُ التاجرِ الأمينِ
فاسترزِقِ الله وقفْ ببابِهِ — واكسبْ فأهلُ الكسب من أحبابِهِ
لا بدَّ في هذي الحياة من أدبْ — لمن تصدَّى للأمور وانتدبْ
فأدبُ الصانع إتقانُ العملْ — وأدبُ التاجر بالصدق كمَلْ

* * *

لما أخالَ[9] الرُّشد والهدايةْ — وانقشعَ الضلالُ والغوايةْ
دعاه داعٍ لم يكنْ بالبال — إلى انتياب أرْؤسِ الجبال
يصعَدُ مثل «النجم» فيها مُوفِيا[10] — وينزل «الكهفَ» بها مُستخفيا[11]
وكم أواها خاليًا بنفسه — وفاز من وَحدتِه بأُنسِه
عالجَ في «المعارج» «الإسراءَ» — وبَدَلَ «الطُّور» ارتقى «حِراءَ»
بات على «الإخلاص» «والإيمان» — وطالت «السجدة» «للرحمن»
«والكافرون» في «قريشٍ» «والبلدْ» — «لم يكن» الأمرُ لهم على خَلَدْ
حتى أتى «الفتحُ» وجاءَ «النصر» — واستقبل «النبَا» العظيمَ «العصرُ»

---

[9] بشَّر بالخير.

[10] أي مشرفًا.

[11] كضوء النجم في الكهف لا يراه مَن في الخارج.

وهـبط «النـورُ» عليـه وحْيَـا ونـزل «الفرقـان» فيـه مَحيَـا
مُنـزَّلًا بحسَـب الزمـانِ مُفصَّـلَ اللؤلـؤ والجُمـانِ
في كـل ليـل أو نهـارٍ آيـهْ كالشـمس أو كالبـدر بُعـدَ غايـهْ
جامعـةٌ بـين البيـان الرائـعِ وبـين عُليـا حِكَـم الشـرائعِ
ولم يـزلْ نزولُـه مُفرَّقـا مُشـرَّقًا بـه الحِجـازُ مُشـرِقا
مُسـايرَ النـبيّ طـولَ عُمْـرهِ ونـورَه فيمـا دجـى مـن أمـرِهِ
حـتى إذا أَمسـى القضـاءُ حُمَّـا تمـتْ حيـاة المصـطفى وتمَّـا

* * *

كـان ابتـداء الـوحي في حِـراءِ فاتحـةَ الرسـالة الغـراءِ
الله خـيرَ خَلْقِـه أعطاهـا وحَمَّـلَ الأمـر العظـيمَ طـه
أرسـله قـلادةَ النظـام عصـماءَ عِقـدِ الرُّسُـلِ العِظـام
فجـاءَ بالخـير ذوي قُـرْباه مَـنْ قَبِـلَ الرُّشْـدَ ومَـن أباه
ناجـاهمو ببيِّنـاتِ ربِّـهِ فآمنـتْ «بنـتُ خُوَيْلِـدٍ»[١٢] بـهِ
فقيـل فيهـا أسـبقُ الإناثِ وفي عَلـيٍّ أسـبقُ الأحـداثِ
وفي الرجـال لأبي بكـرٍ يـدُ بالسـبق لم يبلُـغْ مـداها سـيِّدُ
وكانـت الـدَّعوةُ بالكتـاب وحجـةِ الله علـى المـرتابِ
فلـم تـزلْ حـتى انثنـتْ بحَمـزةِ وانقلبـتْ بعُمَـر فعـزَّتِ[١٣]
ودخـل المستضـعَفون[١٤] فيهـا كلُّهمـو خـوف الأذى يُخفيهـا

---

[١٢] السيدة خديجة زوجة رسول الله.

[١٣] نُصرت وتأيدت.

[١٤] الذي يرى عليهم الضعف.

عُـذِّبَ بعضـهم ربـيطَ الجـاشِ وبعـضٌ التجـا إلى النجاشـي[١٥]

وصـبرَ الـداعي علـى البـذاءِ ومـا يُلاقيـه مـن الإيـذاءِ

فمـا مقـالُ الجاهـلِ المفنَّـدِ تأسَّـس الإسـلامُ بالمُهنَّـد؟

أمَـن يسُـلُّ سـيفَه يسـتخفي ويحملُ الخسفَ لأهل السُّخْفِ!

مـن اسـتطاع أخـذ شـيءٍ عَنـوهْ كـان لـه عـن العـلاج غَنـوهْ[١٦]

* * *

نال الرسـولَ الضُّـرُّ مِـن عـداه وبلـغ الأذى بـه مـداهُ

ومـات مـن آوى وربَّى واصـطنعْ وذاد عـن خـير البنـين ومَنـع[١٧]

وحـائطُ الـدَّعوةِ في أساسِـها وركْنُهـا قبـل اشـتداد بأْسِـها

وارثْ أبا طالـبٍ الأحجـارُ فـأَعوزَ الحـامي وعـزَّ الجـارُ

وركِبـتْ مـتنَ هواهـا هاشِـمُ وجـال غاويهـا وصـال الغاشِـمُ

وكان من أفحشِها أبو لَهَبْ[١٨] عمٌّ، ولكن مَذهَبَ السوء ذَهبْ

فحقـتْ الهِجـرةُ وهـي مُـرَّهْ مـا وُصـفتْ إلا لـنفس حُـرَّهْ

سـبيلُ موسـى في الزمـان الأَوَّلِ ومـذهبُ الـروح ولمَّـا يُحـولِ[١٩]

ومركَـبُ الأفـرادِ والأعـلامِ وخصَـماءُ الظَّلـم والظَّـلَّامِ

مـا أجمـلَ الهجـرةَ بالأحـرارِ إن ضـنَّتِ الأوطـانُ بالقـرارِ

* * *

---

[١٥] ملك الحبشة.

[١٦] أي غنىً.

[١٧] هو عمه أبو طالب.

[١٨] عمه المذكور في القرآن.

[١٩] عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولًا.

تأمَّلِ الرُّسلَ الكرَامَ واعتبرْ ... إن العظيم للعظيم يصطبرْ[20]

ما أَصعبَ الدعوة في البدايةْ ... حتى على الرُّسْل أولي الهدايَهْ!

وأثقلَ الحقَّ على الجماعةْ ... إن وُجِدتْ أُذْنٌ له سمَّاعةْ

والناسُ في عداوة الجديدِ ... وقبضةُ الأوهام من حديدِ

هاجرَ من أم القرى مأذونا ... وما دري أو سمعَ المُؤْذُونَا

في ليلةٍ للختْل كانت مَوعِدا ... قد نصبتْها شَرَكًا أَيدي العِدا

ائتمرتْ في النَّدوةِ[21] الأعيانُ ... وانتدِبتْ للفتكةِ الفِتيانُ

وقعدوا ناحيةً كَمينا ... ليغدروا في داره الأمينا

فخرج الله من البيت بِهِ ... لم يرَهُ الجمع ولم ينتبِه

وسار في ركابه الصِّدِّيقُ ... وفي البلاءِ يُعرفُ الصَّديقُ

فانتشرتْ خيلُ قريشٍ تطلبُهْ ... من يَنصرِ الرحمنُ من ذا يغلِبُه؟!

مرُّوا على الغار مُضلَّلينا ... وأخذوا السُّبْلَ مُسائلينا

حتى بدتْ سيدةُ الأمصارِ ... وبَلدةُ الأعيان والأنصارِ

وكان فيها للرسول شِيعةْ ... وعُصبةٌ سامعةٌ مُطيعةْ

قد عرضوا بمكةَ المبايعةْ ... وبذلوا في المَوْسِم المتابعةْ[22]

وكان إيمانُهمو في السرِّ ... خوفَ قُريشٍ واتِّقاءَ الشرِّ

فكان للقادمِ منهم أهلُ ... ومنزلٌ رحبُ الفِناءِ سَهلُ

باليُمْنِ ألقى رحلَه في الخزْرجِ ... كأنَّه من أرضِه لم يَخرجِ

وامتنعتْ يَثربُ[23] في النُّبُوَّةْ ... وامتلأتْ من مَظهرٍ وقوةْ

---

(20) إشارة إلى هجرة أكثرهم وتجرُّعهم غصَّة الخروج من الديار.

(21) دار الشورى.

(22) متابعته على دينه الحق.

(23) المدينة.

واجتمعتْ حول الهدى لواءَ     يُحاربُ الضلالَ والأهواءَ
كلُّ غَزاة للنبيّ حقَّهْ     لم يَعْدُ في حرب قريشٍ حَقَّهْ
ليس سواءً كلّها العَوانُ[٢٤]     لا يستوي الدفاعُ والعُدوانُ
وربَّ صالٍ نارَها لم يَجْنِها     وإن يكن من شُهْبِها وجِنّها
هم بلغوا نهايةَ التمرُّدِ     وطردوا الإسلامَ كلَّ مَطْرَدِ
وصادروا الأموالَ معتدينا     وناصبوا محمَّدا والدِّينا
وهادنوا ثم بغَوْا فناهدوا     ونقضوا ما أبْرمَ التعاهدُ
فكانت الحربُ لدفعِ الحَيْفِ     قد تُؤخَذُ السِّلمُ بحد السيف
وكان «بدرٌ» مطلعَ الأيامِ     ورفعةَ الصلاة والصيامِ
وأوَّلَ العهدِ بعزِّ الملَّهْ     وبارتداءِ المشركين الذِّلَّهْ
و«أُحُدٌ» جالوا بها وجالا     وانكشفتْ بينهما سِجالا
خيرُ الأُساة كان من جَرحاها     دارتْ على ثباته رحاها
خالف فيها المسلمون رايَهْ     والحربُ للقائد ذي الدِّرايهْ
و«خَيْبَرٌ» كانت مع اليهود     لنقضِهم مُؤكَّد العهودِ
ودسِّهمْ عليه في قريشِ     وعَونِهمْ عليه كلَّ جيش
كِيلُوا بسيف الحق كَيْلَ السندرهْ     ولم يقفْ مَرحَبُهم لحيْدَرهْ[٢٥]
فلم يدعْ حصنًا عليها قائما     ولم يَعدَّ الفاتحُ الغنائما
وما يهودٌ بالسِّخافِ الأغبيا     إذ ظاهروا الشِّركَ عدوَّ الأنبيا
إني أظنُّ الحرصَ مَنَّى القوما     أنْ سيسودوا بالحِجاز يوما
وأن دِينَهم بذاك أجدَرُ     وأنهم على قريشٍ أقدرُ

---

[٢٤] الحرب العظيمة.

[٢٥] هو عليٌّ عليه السلام، ومرحبٌ بطل اليهود.

وفي حُنــــينٍ عظُـــمَ الـــبلاءُ وحلَّـــتِ الألطـــافُ والآلاءُ
اغــترَّ فيهــا المســلمون كثـرهْ وللغـــرور بالرجـــال عثـــرهْ
أنسـاهمُ الحُطـامُ ذِكْـرَ السـاعه فمـال نصـرُ الله عـنهم سـاعهْ
لــولا رســولُ الله فــيهم بادوا وأصـــبحوا يـــرويهمُ العبـــادُ
أُيِّـــدَ بالصـــبر وبالثبـــاتِ والـــرابطينَ الـــبُهَمِ الأُباةِ
ونــزل النصــرُ مــن الســماءِ مُـــؤَزَّرًا مُجَلِّـــيَ الغَمَّـــاءِ(٢٦)
فكــان للهــادي عُلُــوَّ شــانِ وغَــيْظَ كــلِّ حاســدٍ وشــانِ

* * *

قـفْ بقـريشٍ بعـد بـدرٍ وسَـلِ مـا غرَّهـا بابـن أبيهـا المرسَـلِ؟
أم حسدًا، والأهلُ أَهلٌ للحسدْ لـو استطاع أَنكـر الـرأسَ الجسدْ
أولُ محســـودٍ هـــو القريـــبُ والفضـــلُ في دياره غريـــبُ
تريـــدُ حـــربًا ويُريـــدُ سِـــلْما تَزيـــدُ جهـــلا فيَزيـــدُ حلمـــا
هـــم منعـــوه الـــرُّكنَ والمَقامـــا وسِـــيمَ بالمدينـــة المُقامـــا
أرادَ حـــربَهمْ فسِـــيلَ صـــفحا وهـــمَّ بالفـــتح فقيـــل صُـــلحا
عاهـــدهم فـــأخلفوه المَوْثِقـــا وركبـوا الغـدرَ الوبيـلَ المُوبِقَـا
بَغَـوْا علـى أحلافِـه الكِـرامِ جيرتِـــه بالبلـــد الحـــرامِ
فاستصرخوه فأتى من طيْبهْ(٢٧) كالسـيل يُزجِـي رعـدَه وسَـيْبَهْ
وفُتحـــتْ مَكـــةُ للإســـلامِ وحـــلَّ فيهـــا ظـــافرَ الأعـــلامِ
ونُـــزِّهَ البيـــتُ عـــن الأوثانِ واللهُ عـــن نِـــدٍّ لـــه أو ثانِ
ورَفِـــقَ الغالـــبُ بالمغلـــوبِ فكــان أيضًــا فــاتحَ القلــوبِ

---

(٢٦) أي كاشف الغمة.

(٢٧) المدينة المنورة.

أطلقهـــــم ومَـــــنَّ بالأمـــــانِ فالطُّلقـاءُ هُـمْ علـى الزمـانِ[٢٨]

وكــان مــن تســويةِ الإســلامِ وجعلِـــــه الفتـــــاةَ كـــــالغلامِ

بَــذْلُ النســاءِ كالرجــال البَيْعــه لا يُشـــتكى لحقِّهـــنَّ ضَـــيْعَهْ

مستقبلاتِ المصطفى خلفَ الخُمُرْ يأْخـذُها لـه علـيهنَّ عُمَـرْ[٢٩]

بايعـن حـتى هنـدٌ[٣٠] المناضِـلهْ علـى الـوَلاءِ والخـلال الفاضـلهْ

وظلـــتِ الـــدعوةُ في يســـارِ السـيفُ يحمـى والكتـابُ سـار

وبُعـــثَ الرُّسْـــلُ إلى الأحيـــاءِ يُحيُـون فيهـا ميِّـتَ الأحيـاءِ

يَمضـــــون لله وللرســـــولِ وينثنـــون ببلـــوغ السُّـــولِ

وكـم أتـتْ مـن دونها آجـالُ ومـات دون الواجـب الرجـالُ

حـتى أظـلَّ العـربَ الإسـلامُ وشَمَـــلَ الجزيـــرةَ الســـلامُ

وبلـــغ الصُّـــمَّ بـــلاغُ الـــداعي وأسمعـتْهمُ حَجَّـةُ الـوَداعِ[٣١]

هنـــاك حـــان أجـــلُ الطبيـــبِ وحَكَـــمَ المحـــبُّ في الحبيـــبِ

سبحان من لـه البقـاءُ دون حـدْ ولـيس فـوق المـوت غـيرَه أحـدْ

---

[٢٨] هذا لقب أهل مكة بعد أن أطلقهم رسول الله وأمَّنهم.

[٢٩] كل هذا إشارة إلى مبايعة عقائل قريش إياه عليه السلام.

[٣٠] هند بنت عتبة أسلمت وبايعت، وكانت تؤذى رسول الله قبل الفتح.

[٣١] آخر حجة لرسول الله خطب فيها وبلَّغ وأرى الناس مناسكهم وعلَّمهم حجهم.

# الخلفَاء الراشدُون

الخلفـــاءُ الراشـــدونَ أربعَـــهْ مَرضِـــيَّةٌ سُـــنَّتهمْ مُتَّبَعـــهْ

في الـذِّكْر لم يُغْفَـل لهـم حَـديثُ وذِكْـــرُهمْ سَـــيِّرَهُ الحـــديثُ

العُمَـران[1] وابـن[2] أروَى وعَلِـي في الـذِّروةِ الشـمَّاءِ والأوْج العَلِـي

خلائـــفُ الله أئمـــةُ الهُـــدَى وَطَّـــأَ للحَـــقِّ بهـــمْ ومَهَّـــدَا

كلَّهمـــو ابـــنُ أمسِـــهِ ويَوْمِـــهِ عِمـــادُ دارهِ عَميـــدُ قومِـــهِ

هُـــمُ النجـــومُ في سمـــاءِ غالـــبِ ومطلـع الهـادي المنـيرِ الغالـبِ

نمـــاهمو كمـــا نمـــاهُ فِهْـــرُ[3] فبيـــنهم واشـــجةٌ وصـــهرُ

معـــادنُ الوفـــاءِ والإخـــاءِ صَـــحابة الشِّـــدَّةِ والرَّخـــاءِ

مـــا مَنَعـــوا الله ولا نبيَّـــهْ قِيـــادَ نفـــسٍ سَمْحـــةٍ أبيَّـــهْ

ومـا الحْوَارِيُّـونَ خَلْـفَ عيسـى أحـثَّ مـنهم للنجـاةِ عِيسَـا[4]

رُعـــاةُ شـــاءٍ وتِجـــارُ مـــالِ كالرُّسْـل في هـذا وفي الكمـال

قــد كفلــوا الإســلامَ في صــباهُ فـــأيُّهم نادَى دَعَـــا أباهُ

بالـــنفسِ والنفـــيس أيَّـــدوهُ وبالقنـــا والـــرأي شـــيَّدوهُ

وأمَّنـوا ديـكَ الهـدى فصـاحَا وآمنـــوا بفَجـــره مُنصـــاحا

كلهمُـــو فيـــه المجيـــبُ الأولُ عَطْـوه غـاياتِ الرضـى ونوَّلـوا

فاسـبقْ إذا الحـقُّ دعـا مستنصِـرا وكـنْ إذا عُـدَّ الحمـاةُ الخِنْصَـرَا

---

(١) أبو بكر وعمر.

(٢) عثمان.

(٣) هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول.

(٤) العيس: الإبل؛ أي هربًا من الدنيا وطلبًا للآخرة.

مـا حَمَـل الـنفسَ علـى الأشـقِّ كقائـل الصـدق وحـامي الحـقِّ
حتى جبا الأرضَ إليهم مَنْ جَبَا ومِلكـوا الـدنيا فكـانوا أعجَبـا
حدِّثْ عن الخليفة الخميصِ[٥] والمَلِـكِ المخـرَّقِ القمـيص
مثـل الجـوادِ زانـه الإضـمارُ والشمس زادت حسنَها الأطمارُ
لا يعقـدون في الجباهِ العسـجدَا بـل الـترابَ للمليـك سُـجَّدا
وتحَـت أقـدامهم التيجـان ينـدبُها اللؤلـؤ والمَرجـانُ
كِسرى ببطنِ الأرض عطْل المفرقِ وقيصـرٌ ينـدُبُ تاجَ المشـرق!

[٥] الجائع.

## خلافة أبي بكر الصدِّيق

سبحان من يُنعِمُ كيف شاءَ ... ساس الورى من كان يَرعى الشاءَ

يقود بعد إبلِ ابن عَامِر[1] ... ما دَبَّ في غامِرها[2] والعامِر

سما سموَّ الثاقب السيَّارِ ... والخيرُ عُقبى صُحبةِ الأخيارِ

من أُيِّدَ الحقُّ به تأيَّدَا ... وعاش أو مات كريمًا سيِّدا

وكلُّ عزٍّ في ظِلال الباطِلِ ... نسجُ عناكبٍ وخيطُ باطلِ

كم شوَّه الباطلُ حين سوَّدا ... كالنار تعلو بالدُّخان أسودا

لما هاب بالرسول الداعي ... وآذن الجثمانُ بالتداعي

ولَّى أبا بكرٍ على الصلاةِ ... وتلك عُليا رُتَبِ الولاة

فبايع الطائعُ والأبيُّ ... طوبى لمن بايعه النبيُّ

وكان ما لم يكُ منه بُدُّ ... أقضيةُ الرحمنِ لا تُرَدُّ

أصابت الفتنةُ والحبائلُ ... ونَكَستْ بعد الهدى القبائلُ

وثاب أقوامٌ إلى الأوثانِ ... وقام غاوٍ وتلاه ثانِ

تنبآ فلقيا نجاحا ... واتَّبعتْ طائفةٌ سَجاحا[3]

واضطرب الحبل وماجت الزُّمَرْ ... واقتحمَ الفتنةَ فابتلَّ عمرْ[4]

يومٌ كيوم السامِرِيِّ[5] لولا ... دَفْعُ أبي بكر وعَونُ المَوْلَى

---

[1] هو عثمان بن عامر، أبوه رضي الله عنه.

[2] الغامر من الأرض هو ما ليس بالعالي.

[3] امرأة من العرب ادَّعت النبوة.

[4] هو عمر بن الخطاب، قد كاد يُفتن من شدَّة جزعه على رسول الله.

[5] إشارة إلى فتنة بني إسرائيل بالسامري.

غُـمَّ علـى الحِجـاز، فاسـترابا نـزولُ ذاك القمـرِ الـترابا[٦]

جلَّـى الإمـامُ يـومَ ذلـك الغُمَـمْ إن المهمـاتِ ميـادِين الهِمَـمْ

أُعـينَ بالتأييـد والتسـديد وفتيـةٍ بُنُـوا مـن الحديـد

مـن كـل سـيفٍ سلَّه المختـارُ مـاضٍ فِرِنْـدُه الصِّـبا بتَّـارُ

أسـامةُ[٧] الأسمـاءِ والأفعـالِ أجـرى مـن الهـلال للمعـالي

قـد نصـروا الله وبـرُّوا الهـادي ووصـلوا الجهـادَ بالجهـادِ

وأصلَوْا الشرك الحروبَ الغابرهْ واستأْصلوا شـأفته ودابِـرَهْ

ورُفَّـت السِّـلمُ علـى الجزيـرهْ صـافيةً حياضـها غزيـرهْ

وحُبِّـبَ الفـتحُ إلى الإمـامِ لا بـدَّ للبُنيـان مـن تَمـام

فانساحت الكتائبُ انسياحًا[٨] أرسـلها مـن يُرسـلُ الرياحَـا

خيـلٌ لَمسْـنَ أَثَـرَ الـبُراقِ بُـورِكَ للشـامِ وللعـراقِ

الـيُمْنُ مـن غُرَّتِهـا للحـافرِ ومَتْنُهـا مـن ظـافرٍ لظـافرِ

يقودُهـا ألويـةُ الجهـادِ أشـهادُ بـدرٍ أو بنـو الأشـهادِ

فكانـت البصـرةُ أولَ الثمـرْ ثم ترقَّـى في المنـازل القمـرْ

وَفَـتَح الله علـى القُـوَّادِ مفـاتح النهـرين والسـوادِ[٩]

واقتحموا الشـامَ فـزال شُـومُها وضـاق ذرعـا بهـمُ غَشُـومُها

وسـلكوا الجبـالَ والفُروجـا[١٠] وملكـوا كالشُّـهُبِ البروجـا

ونازلـوا الـرومَ بأجنادينـا فكـان دنيـا لهمـو ودينـا

---

[٦] أي موت الرسول عليه السلام.

[٧]علم جنس على الأسد.

[٨] اندفعت.

[٩] هو سواد العراق أي ريفه.

[١٠] الفروج: متون الأودية أو متون الطرق.

يـومٌ – على ما شابه – سعيدُ ... قد تكـدُرُ الأيام وهي عيدُ

فما ثنى القومَ عن القتالِ ... نَعِيُّ والٍ أو بشيرُ تالِ

فَتْحُ الفُتوحِ كان حِصَّتَيْنِ ... تناصفا بين الخليفتين

حوى العتيقُ[١١] مُبتدا مفاخِرِهْ ... وأحرز الفاروقُ[١٢] عِزَّ آخِرِهْ

فيا أخا الضَّرَّاءِ والشدائدِ ... والناسُ إخوانٌ لدى الفوائدِ

وسابِقَ الآل إلى التصديقِ ... وآوِيَ الغارَ مع الصَّدِيقِ

وباسطَ اليمين والشمالِ ... وتُعرَف الرجالُ عند المالِ

وقدوَةَ الزُّهَّادِ بعد الهادي ... وصاحبَ الهجرةِ والجهادِ

وكاسيَ الأرامل الحُرَّاتِ ... وحالبَ الأغنام للجاراتِ[١٣]

ويا رحيمًا قلبُه رقيقا ... بماله كم حَرَّر الرقيقا

ومن قضى بعد غنًى فقيرا ... لم يجدوا في بيته نقيرا

ذهبتَ بالخير وأتعبتَ عُمَرْ ... يا ويح مَن بعدَ أبي بكرٍ أمرْ

رأيتَ فيه ما رأى اللهُ لكا ... فكان فضلَ الله ثم فضْلَكا

عهْداكُما كجُمعةٍ في عيدِ ... في ظلِّ يومٍ بَهِجٍ سعيدِ

الله زفَّ الفتحَ فيه وهَدَى ... إلى قَنا الحقّ وراياتِ الهدى

الشمسُ لو كانت تُخَطُّ مَضجَعا ... والبدرُ لو كان يقِلُّ الهُجَّعا

والصَّدَفُ التامَ على اليتائِمِ ... من فَردِ اللؤلؤ والتوائم[١٤]

والغِمدُ لو يَسكنه سيفانِ ... والجفنُ لو ينزلهُ طيفانِ

واللفظُ راقَ واحدًا وَرَاعَا ... حولَ معانٍ دقَّت اختراعا

---

[١١] أبو بكر الصديق.

[١٢] عمر.

[١٣] كان رضي الله عنه يحلب الغنم لجاراته.

[١٤] توائم النجوم أو اللؤلؤ ما تشابك منها.

كروضـــــةٍ وارَتْكُمـــا بالقـــاعِ  مـــن طينـــةِ الجنـــةِ لا البِقـــاع
خـــيرُ الأنامِ وَردُهـــا المصـــونُ  وأنتمـــــا الأوراقُ والغصــــــون
صـــحابةُ الـــدنيا رفـــاقُ الـــبرزخِ  وإصـبعٌ تحـتَ الثـرى كفـر سـخِ
إلا مقامًـــا قمتُمـــا لـــن يَقـــبلا  تصـرُّفَ الـدهرِ ولا حُكْـمَ البِلـى

## خلافة عمر بن الخطاب

مضى أبو بكرٍ، وولَّاها عمرْ الشمُس لا تُخلَفُ إلا بالقمرْ

ما مال حائطُ الهدى حتى اعتدلْ والركنُ إنْ سَدَّ من الركن بدلْ

بزاهدٍ قام مكان الزاهدِ مُجاهدٍ نابَ عن المجاهدِ

قلَّده في نزعهِ الصلاةَ إن الوُلاةَ تزِنُ الولاةَ

بالمؤمنين نهض الأميرُ مضطلِعٌ بأمرهم شِمّير[1]

يوماه في الصُّحبةِ والإمامهْ كلاهما السَّرْحة[2] والغمامهْ

* * *

إسلامهُ للدين كان عِزَّا[3] رنَّح عِطْفَ المصطفى وهزَّا

صُلِّيَ في الكعبةِ لمَّا آمَنا وطافَ بالبيتِ الطريدُ آمِنا[4]

وكان في دين الجدود صُلبا لا يأْتَلِي الدينَ الجديدَ ثَلْبَا

* * *

ثار إلى حيثُ النبيُّ مُوعِدا ومُبرِقًا بسيفه ومُرعِدا

فجاءَه مُوحِّدٌ من الزُّمَرْ وقال جِئْ أهلَك فانظرْ يا عمر[5]

وحَّدَتِ اللهَ ابنةُ الخطابِ وآمَن السعيدُ في الأخطاب[6]

---

[1] المجرب الماضي في الأمور.

[2] الشجرة العظيمة.

[3] إشارة إلى قول الرسول: اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب.

[4] أي صار المسلمون يطوفون بالبيت مجاهرين آمنين، وكانوا لا يستطيعون ذلك.

[5] هو نُعَيْم بن عبد الله.

[6] ابن عم عمر وختنُه، والأخطاب: جمع خِطْبٍ، وهو الذي يخطِب المرأة، والمراد السعيد بكونه خِطْب فاطمة أخت عمر.

فجاءَهـا معتـزِمَ الشِّـراسِ | وكـان صـلبًا خشِـنَ المِـراسِ[٧]
فراعَـه مـن الخِبـاءِ هيْنمـهْ[٨] | وصـوتُ مسـتخفيةٍ مُرنِّمـهْ
فقـال: مـا أسمـع؟ قالـت: طـه | فلـم يصـوِّبْها ولا خطَّاهـا
قـال، وعِرفـانُ الصوابِ مَكرُمَـه: | فـاطمُ هـذا منطِـقٌ مـا أكرمَـهْ!
وآنسـتْ سـكينةَ الحـواري | مـن رجـلٍ في صـحوه سـوَّار[٩]
كَحَمَـلٍ مُـدلَّلٍ صـار الأسـدْ | والصارمُ المسلولُ عاد كالمَسَدْ[١٠]
كأنمـا سـقتْه أمَّ ليلـى[١١] | أو أسمعتْ قيسًا[١٢] حديثَ ليلى
فجـاءَ نادِيَ النـبيّ فاهتـدى | وكـبَّر الهـادي وهـلَّ المنتـدى
انظـرْ إلى الحكمـةِ كيـف تُنشَـدُ | والـنفسِ بعـد الغَـيّ كيـف تُرشَـد
لا تقـضِ بالعُبـوسِ والطلاقـهْ | مـنَ امـرئٍ حـتى تـرى أخلاقـهْ
كم ليّنٍ كالصِّلِّ[١٣] يُخفي مَصرَعا | وأخشـنٍ كالصـخر يُـوي مَشـرَعا
مـا اتَّبـع الحـقَّ إذا تغلَّبـا | كرجـلٍ في باطـلٍ تصـلَّبا
والـرأيُ مثـلُ العهـد في الجليـلِ | يرعـاه مَـن يرعـاه في القليـلِ

* * *

إن الـذي رشَّـح للمُلْـكِ عُمـرْ | أيَّـده بالعلـم في خـير العُمُـرْ
كفـى بصـحبة النـبي مَعْلَمـا | وبالنـبي مرشـدًا معلِّمـا

---

(٧) المِراس: المأخذ والمعالجة.

(٨) الصوت الخفيُّ.

(٩) ذو الحدَّة والشدَّة.

(١٠) حبل من ليف.

(١١) كنية الخمر.

(١٢) مجنون بني عامر.

(١٣) الثعبان الخبيث.

مَن صَحِب النَّجمَ تعالى وانفردْ ومن دنا من ساحة البحر وردْ
عِلمٌ عليه من بيانٍ وخُلُقْ ثلاثةٌ مَنْ زِنَّ للمُلكِ خلقْ
عابوه بالشدة وهي حُسْنُ في رجلٍ للحقِّ منه حصنُ
ميسَّر في صُلْبِ والديهِ لتُفتَح الدنيا على يديه
بالعدلِ والدِّرَّةِ طار بالعرب وسار في الجوِّ بهم وفي السَّرَب[١٤]

* * *

فلم يزل دِعامةَ الإسلامِ وهامةَ الصحابة الأعلامِ
سَمْحًا جوادًا في سبيل الله نَدْبا[١٥] عن الحقوق غيرَ لاهِ
مجاهدًا بِبيضِه وسُمرِهِ وشُهْبِهِ ودُهْمِهِ وحُمرِهِ[١٦]
وعنبرَ العُبَّادِ في الجوامعِ وسَمَر الزهَّاد في الصوامعِ
وقاضيًا كالذَّكَرِ اليماني لم يأتِه في سَنةٍ خَصْمان
حتى تلقَّى الحظَّ أسنى أكبرا أمَّ الصفوفَ وترقَّى المِنبرا
حِباءُ[١٧] مَن قاسَ الصنيع وَقَدَرْ إن الجزاءَ بأوانٍ وقدَرْ
فليس يدري المسلمون سيّدا أبركَ وجهًا منه أو أندى يدا
مَن يَلقَهُ في طِمْره[١٨] يُلاقِ ركنَ الحقوق حائطَ الأخلاقِ
وُلاتُه في ملكهم رُهبانُ والفلْكُ حيث ساقها الرُّبَّانُ
خليفة يَعُسُّ في الإعتام[١٩] ويطبخُ الطعامَ للأيتامِ

---

[١٤] الطريق في الأرض.
[١٥] الشهم المنتدَب لعظائم الأمور.
[١٦] أي يجمع خيله ودوابه.
[١٧] العطاء.
[١٨] الثوب البالي.
[١٩] الظلام.

طريقُه في العدلِ قطُّ ما سُلِكْ ... مَن ذا قضى لسُوقةٍ على ملِكْ؟![20]

فتوحُهُ للحَق فَضْلُ الْبَاري ... والجَزْلُ من هِباته الكبارِ

إسْكَنْدَرُ الخَيلِ وَإنْ لم يَرْكبِ ... الأرضُ مِنْ أيَّامِهِ في مَوْكِبِ

أقامَ في مَرْكَزِه بيثْربَا ... وَشَرَّق القنا به وغرَّبا

ثَوَى وساق نُجَبَ الصِّحَاب ... بُورِكَ في البحرِ وفي السَّحابِ

بَقِيَّةٌ مِنْ أُحُدٍ وَبَدْرِ ... مِنْ كل غابٍ طَلَعت وخِدرِ

مَحا مُرورُ الدَّهر مُسوَدَّ اللِّمم ... وهم كأمسِ حُمُسٌ[21] مُرْدُ الهِمَمْ

»بالقُدْسِ» جيشقٌ دونه رُهبانُهُ ... تحرَّمت بِعَدْلهم صُلْبانهُ

وجحْفلٌ تحتَهمُ الإيوانُ ... كلُّهمُو كِسْرَى أنوشروانُ

وفَيْلَقٌ على جَوَانِبِ الْهَرَمْ ... تقلدُوا الحقَّ وسُرْبِلُوا الْكَرَمْ

لَوْ هَبَّ فرعونُ لَخَالَ مُوسى ... بِجانِبَيْه يَعْرِضُ النَّامُوسَا

تَعَهَّدُوا الفَتْح بالاخْتِطَاطِ ... ووصَلوا الْكُوفَةَ بالفُسطاطِ

وَراءَهم مُسَهَّدُ الفُؤادِ ... موكَّلُ العيُونِ بالقُوَّادِ

يَبْعَثُ بالزَّادِ ويُرسِلُ المدَدْ ... وَيُنفِذُ الكتْبَ ويأخذ العُدَدْ

مُبارَك على المدَى مَجْدُودُ ... وللجدود كُلِّهَا حُدودُ

إذا دَعَا بِوَجْهِهِ مُشيرا ... نَحْوَ السَّماءِ اسْتَقْبَلَ البَشِيرا

حَتَّى جَلا كسْرَى عن المَدَائنِ ... وآبَ بالإيوَانِ والخزائنِ

وشاطرتْهُ مُلْكَها الْقَيَاصِرَهْ ... والقُدْسُ فيما بذلتْ وناصِرَهْ

فتحٌ يُرِي الحوادِثَ الإباءَ ... إذا الفُتُوحُ أصبحتْ هَبَاءَ

أهْدى على الدهْرِ إلى الإسلامِ ... ما بين أعلى النيل والسلامِ

---

[20] إشارة إلى حديث جبلة بن الأيهم الذي لطم سوقة فاقتصَّ له عمر منه.

[21] شبان أشدَّاء لم تَشِبْ لهم همم.

أرضٌ أصـابَت مـن نَـدَى السَّـماءِ خـيرَ النَّبـاتِ وعُيُـونَ المـاءِ
وعـالَمٌ باقٍ علـى عَهْـد العَـرَبْ وإنْ مَضى الـدهْرُ عَلَيْهِمْ وضـرَبْ
مـا ضَـيَّع الـدِّينَ ولا اللسـانَا ولا يَـدَ الفـارُوقِ والإحْسـانَا

# عُمَر وخالد بن الوليد

والله مـا أدري ولا تـدري الزُّمَـرْ ... ما كان بين ابنِ الوليدِ وعُمر[1]

سـيفُ الإلـهِ سَـلَّهُ النَّـبيُّ ... وَهَـزَّهُ وَليُّـه الحـبيُّ

---

[1] ابن الوليد: هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلم سنة سبع للهجرة، وهو أحد الذين انتهى إليهم الشرف في الجاهلية من قريش. كانت إليه القبَّة والأعنَّة؛ فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش. وأما الأعنة فإنهم كانوا على خيل قريش في الحرب، كان أحد الأبطال الذين حاربوا أهل الردة. اشترك في فتح العراق وفي فتوح الشام، كان قائدًا عامًّا للجيوش الإسلامية في الشام، في أواخر خلافة أبي بكر الصديق، فبينا كان المسلمون في ذلك اليوم المشهود – يوم اليرموك – في أشد حالات الحرب، واشتداد الطعن والضرب جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر ويُخبر باستخلاف عمر بن الخطاب، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد وتعيين أبي عبيدة بن الجراح أميرًا عامًّا للجيش مكانه. وفي رواية أخرى أن البريد جاءهم وهم على حصار دمشق، وروى الطبري أن أبا عبيدة كتم عن خالد خبر عزله ريثما فتح دمشق وكتب لأهلها عهدا فأمضاه له، وحضر خالد بن الوليد بعد إمارته هذه معظم فتوح الشام متطوعًا، وكان المسلمون يستمدون رأيه في الحروب ويقدمونه على أمرائهم ساعة الحاجة، وكان أبو عبيدة يوليه الجيوش للفتح، فلما فتح في إمارة أبي عبيدة قنسرين التابعة لولاية حلب وانتهى الخبر بذلك إلى عمر قال: أمَّر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني. أما سبب عزله فأمران؛ الأمر الأول: ما كان في نفس عمر بن الخطاب عليه منذ قتل مالك بن نويرة في حرب الردة؛ كان مالك بن نويرة رجلًا متحيرًا يقدم للردة قدمًا ويؤخر أخرى، قدم بالصدقات على أبي بكر رؤساء تميم كلهم كالزبرقان وصفوان بن صفوان، ووكيع بن مالك وغيرهم، إلا مالك بن نويرة بقي مترددًا، فقصد خالد بن الوليد البطاح وبث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكل من لم يُجب، وكان قد أوصاهم أبو بكر «أن يؤذِّنوا إذا نزلوا منزلًا فإن أذَّن القوم فكفُّوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم»، فكان بين الذين جاءت بهم الخيل مالك بن نويرة في نفر من ثعلبة بن يربوع، فأمر بهم خالد فحُبسوا في ليلة باردة، ثم أمر مناديًا فنادى: دافئوا أسراكم، وهي في لغة كنانة القتل، فظن القوم أنه أراد القتل – ولم يُرد إلا الدفء – فقتلوهم، وقُتل معهم مالك بن نويرة، قتله ضرار بن الأزور، وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك، فلما انتهى الأمر إلى أبي بكر وعمر رغب عمر إلى أبي بكر ثم ألح أن يستدعي خالدًا ويقتص منه، فقال أبو بكر: يا عمر تأوَّل خالدٌ فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين، فلما رجع خالد ودخل على أبي بكر وأخبره بجلية الخبر واعتذر إليه قبِل عذره. ولكن عمر أهانه وأسمعه كلامًا أليمًا. الأمر الثاني – وهو الأهم – إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد، وحبهم له، واستماتتهم بين يديه في كل مشاهدِه في العراق والشام؛ لشجاعته، وحزمه، وتوفيقه في الحروب، وانتصاره على الأعداء. عرف هذا عمر بن الخطاب فوقع في نفسه شيء منه، وخشي من إقبال الناس عليه، عرف أن في نفس خالد من جهته ما في نفسه من جهة خالد، منذ قرَّعه ذلك التقريع الشديد عقب حادث مالك بن نويرة، فبادر إلى عزله قبل أن يصل خبر توليه منصب الخلافة إلى المسلمين، وخالد أمير على جيش عظيم منهم، وقد جهر عمر بهذه الحقيقة، فقد روى أنه استدعاه بعد عزله إلى المدينة، فعاتبه خالد، فقال له عمر: ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس، فخفت أن تفتتن بالناس.

أُغمِــد لا كــلًّا[٢] ولا مُقصِّــرا ... في حَـرْب كِسَـرى وقِتـالِ قَيْصَـرَا

تَوَجَّعَــتْ لِعَزْلِــه العُقــاب[٣] ... وحــــلَّ بالمـــبرَّأ العِقــــاب

ضـــغينةٌ[٤] لم تـــدَع الإمامـــا ... حَــتَّى رَمَــى في يَــدها الزِّمامــا

وزلَّـــة الكَبـــير أكـــبر الزَّلـــل ... وَإن أُحيطــت بالطِّــلاءِ والعِلــل

خــاف الإمــامُ أن يكــون فِتنــةْ ... سياســـــةٌ عاليـــــةٌ وفِطْنــــةْ

كـم هاضـتْ الممالـك العظامـا ... مَخافَـــةً أن يَقْطعُـــوا النظامـــا

وكم مرجَّى السَّبقِ مات بالكمد ... قَـدْ وَقَـف النَّـاس لَـهُ دُونَ الأمَـدْ

أُعِيـذُ مِـنْ مَضـلَّةِ الحقـد عُمـر ... مثـلُ الإمـامِ بالمراشـد ائتمـرْ

لَعَلَّـــهُ أبْصَـــرَ وَجْـــهَ مَنْفَعـــهْ ... أو خـاف ضُـرًّا فَـرَأى أنْ يَدفعـه

فالسـيفُ لا تأمنُـه أنْ يَنْقلِـبْ ... كـم غَلَـبَ الحقُّ بـهِ وكـم غُلِـب

في طبْعِـــهِ الطـــيْرة والشُّــــرورُ ... وَرَبُّـــه يومًـــا بـــه مغـــرُورُ

وكَيْـفَ غَـدُرَ ابـنُ الوليـدِ كَيْفَـا ... الله أَوْفى وَأبـــــــرُّ سَـــــــيْفا

* * *

عَجبْــتُ مِمَّــن ملــكَ الزمــانا ... ودانَ بعـــد فـــارس الرُّومـــانا

ومــن قَنَــاه كــل يــوم في ظَفَــرْ ... وخيْلُــهُ مــن ســفَرٍ إلى ســفرْ

تتَّكــلُ الطــيرُ علــى بنُــوده ... ويَنْــزلُ النَّصْــرُ علــى جُنُــوده

تَهَيَّــب الْبَحْــرَ وخــافَ حَرْبَــه ... وحَـــرَّمَ المُجاهـــدِين قُربَـــه

ظــل الــولاةُ يَبْســطُون الرَّاحــا ... فــلا يُلَــبِّي لهمُــوا اقْتراحــا

كم حسَّنُوا النَّفَعَ وقبَّحَ الضَّرر ... خوفًـا على جُنُودِه من الغَرَرَ[٥]

---

[٢] الكَلُّ من السيوف: الذي لا يقطع.

[٣] العقاب: قيل الراية، وقيل العلم الضخم، وقيل الحرب، وكلٌّ يصلح أن يكون مرادًا في هذا المقام.

[٤] الضغينة: الحفيظة أو الحقد.

[٥] الغرر: الخطر.

وقـــال، لم يَأذَنْ ولم يُســـلِّمِ: لا أشـتري الـرُّومَ بـنفسِ مُسـلمِ

كـان الإمـام وهـو للعـدل علـمْ لم يُنصـفِ الـرُّومَ وللبحـر ظلـم

كـم جـرَّ نفـع المسـلِمين الـرُّومُ والبحـــرُ عـــزٌّ أبـــدًا مـــرُوم

يَـنْهَضُ بالملـك العظـيم فاتِحُـه لأنَّـــهُ مِـــنَ الثـــرى مفاتِحُـــه

فَـــيْروزُ منْـــهُ يَـــبْرَأ النَّصـــارَى ومِثلُـــهُ إلى الجَحِـــيمِ صَـــارَا

لا دِيـــن للْبَـــاغِي وإن تَـــدَيَّنا كَفَـى بِقَتْـلِ الـنَّفْس ظُلْمًـا بَيّنَـا

# مقتل عمَر

شَكا إلى الخليفَةِ ابنُ شُعْبَهْ[1] ... لِكُلَفٍ يَزْعُمُهنَّ صَعْبه

فَلَمْ يَجِدْهُ عُمَرٌ مَظْلُوما ... ولا رَأى سَيِّدَهُ مَلُوما

وكانَ بالصَّنْعَةِ ذا إلْمام ... وَحَسْبُهُ شَهادَةُ الإمامِ

إنْ يُذكر الرومُ إليهم يُنْسبِ ... وَهو مِنَ الْفرسِ وفي الرومُ سُبِي

إنَّ انكِسارَ الفُرْسِ شرَّ كسرهْ ... صَيَّرَ وجْدَانَ الغُلامِ حَسْرَهْ

فَباتَ لِلْفاروق يُضْمِرُ الإحن ... بِما أصابَ قَوْمَهُ مِنَ المِحَنِ

والثَّارُ بالأَهْلِ الْكِرَامِ والْوَطَنْ ... قَضِيَّةٌ قَدْ شَغَلَتْ أهْلَ الْفِطَنْ

لَوْ لَمْ تَلِدْهُ الأرضُ شَرَّ صِلِّ ... ما اقْتَحَمَ الْمكَبِّرَ الْمُصَلِّي

انْساب مَلأى مِنْ نقيعِ سُمِّهِ ... حديدةٌ قدْ لفَّها بِكُمِّهِ

أَغمَدَها في هَيْكَلِ الجَلالِ ... وشَامَها في كَرَمِ الخِلالِ

فَرَحْمَةُ الله عَلَيْكَ يا عُمَرْ ... غامِرَةً كَعَدْلِك الذي غَمَرْ

---

[1] ابن شعبة: هو أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبة، قاتِلُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، هو فارسي الأصل من نهاوند، كان قد أسره الروم، ثم أسره منهم المسلمون، ولما قدم سبي نهاوند صار أبو لؤلؤة لا يلقى منهم صغيرًا إلا مسح رأسه وبكى وقال: أكل عمر كبدي! وقد ذكر المؤرخون عن مقتل عمر أن أبا لؤلؤة هذا شكا إليه ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة وطلب إليه تخفيضه، فمن قائلٍ إنه وعده خيرًا، وعزم أن يخاطب المغيرة في تخفيف الخراج عنه، ومن قائلٍ إنه سئل: كم خراجك؟ فقال: درهمان في كل يوم. قال: وما صناعتك؟ قال: نحاس، نقاش، حداد. قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، فتوعَّده الغلام وانصرف، قال عمر: توعَّدني العبد. ولما أضمر أبو لؤلؤة قتل عمر اصطنع له خنجرًا له رأسان وشحذه وسمَّه ثم أتى به إلى الهرمزان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: إنك لا تضرب به أحدًا إلا قتله، فراح أبو لؤلؤة يراقب عمر ويترصده، وبينا هو في صلاة الغداة قام وراءه، فلما كَبَّرَ طعنه في كتفه، ثم في خاصرته، وقيل ضربه ست ضربات فسقط عمر، وقام المصلون يحاولون القبض على أبي لؤلؤة فأخذ يطعنهم عدة طعنات أصابت مَقاتل الكثير منهم.

## خلافة عُثمان بن عفّان

مــن لقتيــلٍ بالسَّــفا[1] مُكفَّــنِ ... مــرَّتْ بــه ثلاثــةٌ لم يُــدفَنِ

تَعرِضُــه نــوادبًا أراملُــهْ ... ويشــفقُ الــنعشُ ويأْبى حاملُــهْ

قـد حيـل بـين الأرض وابـنِ آدما ... ونوزِعــتْ دارُ البقــاءِ قادمــا

مُثِّــلَ بالمهــاجرِ[2] المُثــنّي ... علــى عُلــوِّ شــأْنه والســنّ

تنبــو العيــون اليــومَ عنــه جيفــهْ ... وأمــسِ كــان نورهــا خليفــهْ

قــد عُــرِيَ المِنــبرُ مــن أسمائــهِ ... ورفــل المُصــحفُ في دمائــهِ

تلازمــا تــلازُم اللِّمــاتِ[3] ... خِلَّــيْنِ في الحيــاة والممــاتِ

كنــزٌ عليــه نُقِــبَ الجــدارُ ... ورُقيــتْ بالســارقين الــدارُ

ومَلِــكٌ بمَــدْرج الأوغــادِ ... مــن رائــحٍ يلطُمُــه وغــادِ

مـن كـلِّ رُسـتاقٍ[4] وكـلِّ حاضِـرهْ ... عقــاربٌ والنعــلُ غــيرُ حاضــرهْ

أتــوْا مــن الســواد والصــعيد ... شــقاوة للبلــد الســعيدِ

لإحنــةٍ أو غَيَّــةٍ أو سَــلَّهْ[5] ... وقــلَّ مَــن جــاءَ لخــير الملَّــهْ

وخِـيضَ في القضـية السـخيفهْ[6] ... ومُلئــتْ دارُ الرســول خيفــهْ

وبخِلــتْ بالنُّصــرةِ الأنصــارُ ... وأخَّــرتْ نَجــدتَها الأمصــارُ

وقــرَّتِ الفتيــانُ في الحِجــالِ ... وفــرَّتِ الشِّــيخَانُ بالآجــالِ

---

[1] الغبار.

[2] عثمان رضي الله عنه.

[3] الأتراب.

[4] الرستاق: القرية، والحاضرة: المدينة.

[5] السرقة.

[6] يفهم القارئ – إن شاء – سخف القضية العثمانية من الأبيات الآتية

وتعـــب الوصـــيُّ[٧] بالســـفارهْ ... وانتُـــدبَ السِّــبطان للخِفـــارهْ[٨]

وابـــنُ أبي بكـــرٍ[٩] مـــع الثُّـــوَّارِ ... بغـــيَ الحـــواريِّ علـــى الحـــوارِي

يا ليـت شـعري كيـف ولَّاه علِـي! ... ليــت الإمــامَ المرتضَــى لم يفعــلِ

كيـف يُـولِّ مصـرَ مخضـوبُ اليـدِ ... مـــن راشـــدٍ مُوفَّـــقٍ مؤيَّـــدِ؟

الرأس في الشغْبِ[١٠] سواءٌ والذَّنَبْ ... لا تـبرأ العقـربُ مـن ذنْـب الذَّنَبْ

* * *

إن محمـدًا علـى الشـيخ افـترى ... وجـرَّأَ النـاسَ عليـه واجـترى[١١]

آذاه في حُجرتـــــهِ مخـــــذولا ... ممتنعًـــــا قيـــــادُه مبـــــذولا

عـــاينَ فيهـــا المـــوت أَربعينـــا ... ينتظـــرُ النـــاعِي أو المُعينـــا[١٢]

وشـــرُّ مـــا هـــبَّ عليـــه الغافـــلُ ... إن حكمـتْ في العِليـةِ الأسـافلُ

ابـــنُ ثمـــانينَ فَـــتيُّ النيَّـــهْ ... مُـــوطَّنُ الـــنفس علـــى المنيَّـــهْ

لم يُعطِهـم، حيـث النفـوسُ تجـزعُ ... خلافـــةَ الله الـــتي لا تُنْـــزَعُ

أليســـتِ الـــنفسُ تمـــوتُ مَـــرَّهْ ... فخـــذْ عليهـــا أن تمـــوتَ حُـــرَّهْ

* * *

فـإن تسـلْ مـاذا أتـى عُثمـانْ؟ ... ممـــا يـــردُّ الـــدينَ والإيمـــانْ

تجـــدْ دَعَـــاوَى القـــوم لفَّقوهـــا ... وسِـــلَعًا بالـــدين نفَّقوهـــا

زرَوْا علـى الإمـام مـا لا يُـزرَى ... وأركبـــــوه الحســـــناتِ وِزرا

---

[٧] علي رضي الله عنه، وكان السفير بين عثمان والثائرين.

[٨] هما الحسن والحسين، وكانا في خفارة عثمان.

[٩] كان محمد بن أبي بكر يدبِّر ويكيد مع الثوار.

[١٠] الفتنة.

[١١]هو كما تقدم محمد بن أبي بكر، وكان شديدًا على عثمان محرضًا عليه.

[١٢]من يُنقذه.

واســـتنكروا عُلُـــوَّه بالـــدُّورِ عــن دارةِ الثلاثــةِ البــدور[13]
وقــال قــومٌ: خــالَفَ الأتــرابا وحــالف الثــراءَ والإتــرابا[14]
وكرهــوا التمصــيرَ والتمْــدِينا وعمــوا الــدنيا تُعفّــي الــدِّينا
ويحهُمــو! مــا لهُمــو ومــا لَــهْ؟ طــاب وطيِّــبَ الحــلالُ مالَــهْ
مــالٌ كمــا شــاء العفــافُ والكــرمْ زكا كهَدْيِ البيت أو حَلْيِ الحَرَمْ
والزهــدُ حــالٌ للقلــوب والنُّهــى مـــا أمـــرَ الله بـــه ولا نهـــى
وهـــذه الـــدنيا يـــدُ العظـــيمِ وسِـــرُّه في مُلكِـــه النظـــيمِ
أسـكنها العقـلَ فكانـتْ أشـرَفا مــن كــلِّ زاهٍ في الســماءِ أشـرفا
أحـــلَّ منهـــا مـــا صـــفا مشـــارعا وحــــرَّمَ الآياتِ والمَصَــــارِعا
وســـاقها للأنبيـــاء ترسُـــفُ هــذا ســليمانُ وهــذا يوســفُ
وأيــن مــن شــأنَيهما عُثمــانُ؟ علــى الــذي خَوَّلَــه الــرحمنُ
اســتقبحوا إحســانَه العميمــا أن يَشــمَلَ القريــبَ والحميمــا
وأن ينـــاطَ القُطْـــرُ والولايـــهْ بمــن لــه الصِّــهرُ أو الوَلايــهْ
وردَّدتْ قولهَمـــــو الغَوْغـــــاءُ كمـــا تُعيـــدُ القـــولَ بَبَّغـــاءُ
واتَّخِـــذَ المشـــاغبون آلـــهْ وقيـــل عثمـــانُ يخُـــصُّ آلـــهْ
رماهمو بعضُ الشيوخ من حسدْ ووقعـوا في الـرأس طعنًـا والجسـدْ

* * *

يا حبـــذا ولاتُـــه الأخيـــارُ ورأيُـــه فـــيهم والاختيـــارُ
مـن حَسَـنِ السيرة بالأمـس أمـرْ تحـت النـبيِّ والعتيـقِ وعُمَـرْ[15]

---

[13] هم متقدِّموه من الخلفاء.

[14] الإيسار.

[15] أي جلُّهم كانوا عمالًا لرسول الله وللعمرين.

كهلٍ على الأمر قويّ الكاهلِ بـين الحـواريّ وبـين العاهـل
أو ذي شبابٍ تُرتَضَى حكومتُهْ لا فضلُه خافٍ ولا أَرومتُهْ[١٦]
مُقـدِّمٌ للفضـلِ والأرابـهْ ولـيس للصـهر ولا القرابـهْ
يُضـافُ مرفوعًـا إلى الإمـامِ إضـافةَ البـدرِ إلى التمـامِ
فِتيـانُ مُلْـكٍ وبنـو خلافـهْ قـد صَـدقوا الأبـوَّةَ الخلافـهْ
قـد فتحـوا قُـبْرُسَ للإمـامِ بالسُّـفُنِ المُزْجـاةِ كالغمـامِ
فأصبح القاصي من البرّ اقتربْ وصـار بحـرُ الـروم لُجَّـةَ العـربْ
وخفقـتْ كتائـبُ الإسـلامِ في البحـر أعلامًـا علـى أعـلامِ
فخـرٌ لـذي النـوريْن أيُّ فخـر وهمَّـةٌ تـذكَرُ لابـن صـخر[١٧]
يا طالمـا بالـغَ في الخطـابِ فلـم ينلْهـا مـن فـتى الخطّـابِ
سـبحان مـن فـرَّقَ في الأئمـهْ مـا جـلَّ مـن مَنقَبـةٍ وهِمَّـهْ
لـه الكمـالُ وحـدَه والمُلْـكُ وهُـو الـدوامُ وسـواهُ هُلْـكُ

---

[١٦] أصله ومَحْتِدُه.

[١٧] هو معاوية رضي الله عنه، أول من أركب العرب البحر.

# الخصمان

يا فطِنًـــا بسِـــيَر الكبـــارِ ... مُفتتنًـــا بغُـــرر الأخبـــارِ

وطالـــبَ الجـــوهر في الـــتراجم ... ملـــتمسَ التِّـــبر مـــن المنـــاجم

جِئتـــك بالبرجـــاس والمِـــرّيخ[1] ... خصـــمين بـــين يـــدي التـــاريخ

قَرنْـــتُ خيرَهـــا تُقًـــى وعلمـــا[2] ... بخيرهـــا سياســـةً وحلمًـــا[3]

بـل قرنَـتْ بينهمـا أيـدي الغِـيَرْ[4] ... وافترقـا علـى التلاقـي في السِّـيَرْ

أبو الشـهابين وهـل يخفى القمر؟![5] ... والثاقبُ الرأي اللعوبُ بالزُّمَر[6]

أو قـــيّمُ الـــدين ولا أُحـــابي ... وقـــيّم الـــدنيا مـــن الصـــحاب

إن ذُكـر الآباء جَـاءَا بالقمـر[7] ... جَـدًّا تمنـاه العتيـق وعمـر[8]

تحـــدَّرا مُـــزنَيْنِ مـــن غمـــامِ ... ولاقيـــا الديمـــةَ في الأعمـــام

قُـــربَى علـــى تفـــاوت المنســـوبِ ... كالمُومِ والشـهد من اليعسوبِ[9]

---

[1] البرجاس: المشترى؛ يعني بالبرجاس والمريخ عليًّا ومعاوية.

[2] عليًّا.

[3] معاوية.

[4] يريد بالغِير ما شجر بين عليٍّ ومعاوية.

[5] علي، والشهابان: الحسن والحسين.

[6] معاوية.

[7] عبد مناف، وهو جدهما الذي يلتقيان فيه.

[8] العتيق: أبو بكر.

[9] المومُ: الشمع، اليعسوب: أمير النحل.

## أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أما الإمام فالأغر الهادي ... حامي عرينِ الحق والجهاد
العُمرانِ يأخذان عنه[١] ... والقمران نسختان منه[٢]
أصلُ النبي المجتبَى وفرعُهُ ... ودينُه من بعده وشَرعُهُ
وصفحتاهُ مقبِلًا ومدبرا ... وفي الوغا وحين يرقى المنبرا
يدنوا إلى ينبوعِه بيانا ... ويلتقي بحراهما أحيانا
الحجر الأول في البناء ... وأقرب الصحبِ بلا استثناءِ
وأزهدُ الناس وفي الدنيا يدُه ... وأخشع العالم وهو سيده
وجامعُ الآيات وهي شتَّى ... وسُدَّةُ القضاءِ بابُ الإفتا
والسَّهدُ الآوي إلى أشواقِه ... إذا الظلامُ مدَّ من رواقه
بحرُ الهوى والقوم رُكْبُ السُّفنِ ... كم من شِراعٍ دون عِبْرَيْهِ فَنِي
يا ليت شعري والأمور تَخفى ... والفكرُ في هذا الطريق يخفَى
ما ساءَ هذا الناس من عَليِّ ... وحاد بالناصرِ والوليِّ
وغرَّ بالليث الذئابَ العاويهْ ... وسهَّل الغابَ على مُعاويهْ
قيل دم الشيخ الضعيفِ المُسلَمِ[٣] ... يطلبه الله وكلُّ مسلمِ
تركُ الإمامِ قاتِلَ الإمامِ ... أخلَّ بالهيْبة للزمامِ
وقيل بل أدلَّ بالمكانهْ ... ولو تصوَّرَ الخشوعُ كانهْ
والزهوُ أحيانًا من المعاني ... إن سال من معاطف الشُّجْعان

---

[١] العمران: أبو بكر وعمر.
[٢] القمران: الحسن والحسين.
[٣] عثمان.

وقيـــل في سياســـة الطبـــاعِ وفي المـــداراة، قصـــيرُ البـــاع

لـــو صـــانع الإمـــامُ أو تأنَّ مـا بلـغ الشـاميُّ مـا تمـنَّ[٤]

وقيـل عِلـمٌ مـا لـه انتهـاء لم يَجـرِ فيـه الـرأيُ والـدهاءُ

في ثقـــةٍ بمـــن بـــه لا يوثَـــقُ ولا يـــدوم عهـــدُه والمَوْثِـــقُ

ونبـذُ رأي الناصـح الممـاحضِ[٥] في قُحُـم الأمـر وفي المـداحضِ[٦]

وقيـل أخفـى للثلاثـة الحسـدْ[٧] وكـادتِ الجيفـةُ تأكـلُ الأسـد

لا بـــل هـــو المنـــازعُ التـــوَّاقُ طِلبتُـــه الأعبـــاءُ والأطـــواقُ

سمـــا إليهـــا بعيـــونِ الفضـــلِ وحنَّـتِ الحسـناءُ تحـت العَضْـلِ[٨]

مـــن كـــان في منزلـــه الرفيـــعِ يـــدرِ مكـــانَ مِنـــبَرِ الشـــفيعِ

وطالمـا اسـتأخرَ غـيرَ فـاحمِ ولاذَ بالحيـــــاءِ لم يُـــــزاحمِ

يا جـبلًا تأْبى الجِبـالُ مـا حَمَـلْ مـاذا رَمـت عليـك ربَّـةُ الجمـل[٩]

أثأرُ عثمـانَ الـذي شـجاها أم غُصـــةٌ لم يُنتـــزَعْ شَـــجاها

قضـــيةٌ مِـــن دمـــه تبنيهـــا هبَّـتْ لهـا واسـتنفرتْ بنيهـا[١٠]

ذلـك فتـقٌ لم يكـن بالبـال كيـدُ النسـاءِ مُـوهِنُ الجبـال

وإن أُمَّ المـــؤمنين لامـــرأهْ وإن تَـــلكُ الطـــاهرة المـــبرَّأهْ

أَخرجهـا مـن كِنِّهـا وسِـنِّها ما لم يُزِلْ طولُ المدى من ضِغنها

---

[٤] الشامي: معاوية.

[٥] أمحضت له النصح إذا أخلصته.

[٦] القُحُم: الأمور العظام الشاقة، والمداحض: المزالق لا تَثبت عليها الأقدام.

[٧] الثلاثة: الصِّدِّيق وعمر وعثمان.

[٨] العضل: حبس المرأة عن الزواج.

[٩] عائشة أم المؤمنين.

[١٠] قضية من دمه؛ أي دم عثمان.

وشـــرٌّ مـــن عَـــداكَ مـــن تقيـــه ومُلقِـــيَ الســـلاح تلتقيـــه[١١]

جهزهـــــا طلحـــــةٌ والـــــزُّبيْرُ ثلاثـــةٌ فـــيهم هـــدًى وخـــير

صـــاحبةُ الهـــادي وصـــاحبَاهُ فكيـــف يمضـــون لمـــا يأباه؟

يا ليت شعري هل تعدَّوْا وبغَوْا[١٢] أم دمَ ذي النـورين بالحـق بَغَـوْا؟

جـــاءَت إلى العـــراق بالبنينـــا قاضـــين حـــق الأم محســـنينا

فانصـــدعتْ طـــائفتين البصـــرهْ فريـــقُ خَـــذْلٍ وفريـــقُ نُصْـــرَهْ

أو ذادةُ البَيعـــــةِ والـــــذمامِ وقـــادةُ الفتنـــة والزمـــام[١٣]

وانتهـــكَ الحـــيُّ دمـــاءَ الحـــيِّ مـــن أجـــل ميْـــت غـــابر وحـــيِّ

وجـاءَ في الأسـد أبـو تُـرابِ[١٤] علـى متـون الضُّـمَّرِ العِـراب[١٥]

يرجـــو لصَـــدعِ المـــؤمنين رأْبا وأمُّهـــــم تدفَعُـــــه وتأبى

وعجِـــزَ الـــرأيُ وأعيـــا الحلـــمُ وخُطبـــتْ بالمُرْهَفـــاتِ السِّـــلمُ

مـــن كـــل يـــومٍ ســـافكِ الـــدماءِ تعـــوذ منـــه الأرضُ بالســـماءِ

تجرُّ ذاتُ الطهـرِ فيـه عسـكرا[١٦] وتَـذمُر[١٧] الخيلَ وتُغري العسكرا

ظـل الخِطـامُ مـن يـدٍ إلى يـدِ[١٨] كالتـاج للأَصْـيَدِ بعـد الأَصْـيَدِ

مســـتلَما تـــوهَى الغيـــوثُ دونَـــهْ وبالـــــدماءِ أنهُـــــرًا يفدونـــــه

---

[١١]أي شر من ظلمك من تلتقيه وأنت ملقي السلاح لا تشهره في وجهه ومن لا ترى بدًّا من تجنُّب إيذائه.

[١٢]يقول: إن عائشة وطلحة والزبير جاروا وظلموا بخروجهم على عليٍّ.

[١٣]أي زمام الجمل الذي كانت تركبه عائشة.

[١٤]في الأسد: جيش علي، وأبو تراب كنيته.

[١٥]متون: ظهور، والضُّمَّر جمع ضامر، والضُّمْر الهزال، وهو ممدوح في الخيل، والعِراب الخيل الكرام الخالصة من الهُجنة.

[١٦]اسم الجمل الذي كانت تركبه عائشة.

[١٧]تذمر الخيل: تحثُّها.

[١٨]الخطام: خطام الجمل.

حـــتى أراد الله إمســـاك الـــدم
في كــــرمٍ لســــيفه المقــــدَّم

وظفــــرتْ ألويــــةُ الإمــــام
وألقـــتِ البصــــرةُ بالزمـــــام

فــــرُدَّتِ الأم إلى مقرِّهــــا
مبالَغًـــا في نقِلهــــا وبِرِّهــــا

وظلَّلـت مَـن حـلَّ أرضَ الملحمـةْ
مــن الفــريقين سمــاءُ المرحمــةْ

هلْكى بكى البيت عليهمْ والحرَمْ
المـوتُ دون العهـدِ غايـةُ الكـرمْ

* * *

يا يـــوم صـــفِّين بمـــن قضــاكا
هـل أنصـف الجمعـان إذ خَضَـاكا

فيــك انتهــى بالفتنــةِ التراقــي
واصـــطدم الشـــآمُ بالعـــراق

ونفــدتْ بقيـــةٌ مـــن صَـــحْبِ
تلقــتِ الطعــنَ بصــدرٍ رَحْــبِ

بنـــو الظُّـــبَى، أبـــوَّةُ الأســـنَّةْ
آلُ الكتـــاب أوليـــاءُ السُّـــنَّةْ

لقـــد وْفَى «بـــدرٌ» لهـــم أهلَّـــةْ
وخُنْــــتَهُمْ مَشــــيخَةً أجلــــةْ[19]

لــو في بنـاء المجـد ذلـك الـدمُ!
بــل عمــدوا لمــا بَنَــوْا فَهــدَموا

فيـــا مجـــالًا قصــــرَ الأعنَّـــةْ
ومــــدَّ في اشــــتجارِها الأســــنَّةْ

ترجرجـــتْ بالفئتـــين أرضــــهُ
وضـــاق عـــنهم طولُـــهُ وعرضُـــهُ

ووقــــع الأنجـــــاد بالأنجـــــاد
وخـرَّ «عمـارٌ» مـن النِّجـادِ[20]

مـا كـان ضـرَّ نُصَـرَاءَ[21] البيعـةْ
لـو صـبَروا علـى الـوغى سُـويعةْ

بينـــا بنُـــودهم هـــي العـــوالي
والنصـرُ حـولَ البـيض والعـوالي

غــــادرهُم بســــحره معاويــــةْ
كــأنهم أعجـــازُ نخـــلٍ خاويـــةْ

ألقـــى القنـــا وشـــرَّع المصـــاحفا
يَنْشُــدُ بالله الخمـيس الزاحفـا[22]

---

[19] خانهم يوم صفين وهم شيوخ أجلَّة، ووفى بدر لهم وهم شباب أهلَّة.

[20] هو عمار بن ياسر، وقد خرَّ وهو يقاتل.

[21] نصراء البيعة: أصحاب علي.

[22] الجيش الهاجم.

فلا تسلْ عن فشلِ العزائمِ ... ولم يزل طليعة الهزائمِ

انقطع النَّظمُ والانقيادُ ... وحكمتْ في الشُّكْمِ الجياد

وافتيتَ في الرأي على الأعيان ... وهُدِّدَ الإمامُ بالعصيانِ

ما كان في قبوله التحكيما ... على علو رأيه، حكيما

لا يُرفعُ المُصحفُ كالدُّفوفِ ... والسِّلمُ لا تُذكَرُ في الصفوف

ورأيه في الأشعريّ أعجبُ ... لله فيه قدَرٌ مُحجَّبُ[23]

أين أبو موسى وأين عَمْرو؟ ... لا يستوي مجرِّب وغمْرُ[24]

أمَن دها قيصرَ والمقوقسَا ... كمَن على مصحفه تقوَّسا؟

قام فردَّ الرجليْن ونزل ... وقام عمرو فأقرَّ وعزل

أبى عليًّا وارتضى معاويهْ ... ونقَض المِنبرُ عَقد الزاويهْ

يَا زيْدَ[25] كلِّ مُسرَجٍ ومُلجَمِ ... كيف علا غُرَّتك ابنُ ملجم[26]

---

[23] هو أبو موسى الأشعري.

[24] الغمر: غير المجرّب.

[25] أي يا زيد الخيل.

[26] هو عبد ا لرحمن بن ملجم المرادي، كان من أهل مصر، وهو الذي قتل علي بن أبي طالب؛ فقد اجتمع ملجم هذا، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي في مكة مع آخرين من الخوارج سنة أربعين، وتحادثوا في أمر الناس وفيما هم فيه من الحروب والفتن والشحناء، فتعاهد الثلاثة على أن يكْفوا الناس عليًّا، ومعاوية، وعمرو بن العاص، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليًّا، ثم أقسموا بالله ألا يرجع أحد منهم عن صاحبه الذي توجَّه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فغمسوها في السم وذهب كل إلى غرضه، ومضى ابن ملجم حتى أتى الكوفة فالتقى فيها بجماعة من تيم الرباب – قَتل منهم عليٌّ يوم النهر عشرة – وفيهم امرأة يقال لها قطامِ – قتل عليٌّ أباها وأخاها يوم النهر أيضًا – بارعة في الجمال، فلما رآها أذهلته فخطبها، فقالت له: لا أتزوجك حتى تُشفيني، فقال وما يُشفيكِ؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة، وقالت: عليٌّ، قال: هو لك مهرٌ، أما علي فلم أرَكِ ذكرتِه لي وأنتِ تريدينني! قالت: بل ألتمس غرّته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ويهنئك العيش معي، وإن قُتلت فما عند الله خير وأبقى، فقال

أصاب قَرنًا لا تُرامُ شمسُهُ     أعيا على الأقرانِ دهرًا لمسهُ

بالمرهَفِ المسموم فِيما قد ذُكِرْ     وكلُّ شيءٍ قَتَلَ، الماضي الذَّكِرْ

يا شُؤمَ سيفٍ قطَع الصلاةَ     واغترَّ ليثَ الغابة المِصْلاتا[27]

ولم يكُ ابنُ ملجمٍ صُعلوكا     بل غاليًا يقتحِمُ الملوكا

وضاريًا في دمه العُدوانُ     لم يَخلُ من أمثاله أوانُ

وقال قومٌ ذاك مُسلِمٌ نقِمْ     حكومةَ القرآنِ فهو منتقِمْ

قولٌ غدَا عند النُّهَى مفروضا     لو صح راح العالمون فُوضَى

الرأيُ للأمةِ في الوُلاةِ     وليس للغِضابِ والغُلاةِ

وقتلُكَ الإنسانَ غِيلةً شَنِعْ     الجبنُ أن تَقْتُلَ مَن لا يمتنعْ

النفسُ لله وللنظامِ     والدمُ إحْدَى الحُرَمِ[28] العِظام

فكيف بالبغْيِ على عَليّ     الراشدِ المقرَّبِ الوليّ؟

* * *

ما لكَ والناسَ أبا ترابِ!     ليس الذئابُ لك بالأتراب

هم طردوا الكليمَ[29] كل مَطرَدِ     وأتعبوا عَصاه بالتمرُّدِ

وزُيِّنَ العِجلُ لهم لمَّا ذهبْ     وافتتَنوا بالسامَريّ والذهبْ

وبابن مريمٍ[30] وشَوْا ونمُّوا     واحتشدوا لصَلبهِ وهمُّوا

---

لها: والله ما جئت هذا المصر إلا لذلك. ثم اختارت له مساعدًا من قومها واختار هو مساعد آخر، فلما كانت ليلة الجمعة ١٥ من رمضان ترصَّدوا له، حتى خرج يريد صلاة الصبح فضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهو ينادي: «الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك».

[27] الماضي في الأمور، واغترَّه: أتاه على غِرَّة.

[28] أي النفس لله وللشرائع يحكمان فيها.

[29] موسى عليه السلام.

[30] هو السيد المسيح.

وأخرجــوا محمــدًا مــن أرضــه وسَــرحتْ ألسُــنهُم في عِرضــه

وغيَّبــوا المســوِّيَ الفاروقــا[٣١] وخــيرَ شمسَــيْهم لهــم شــروقا

وذبحوا الشيخ[٣٢] على الفُرقـانِ حتى بَكى الـذِّكْرُ[٣٣] بـدمعٍ قـانِ

وهـبَّ منهم من لحقِّكَ اختلسْ وفَجَعــوك بالصــلاة في الغلــسْ

وأشــرقوا الحســينَ بالــدماءِ[٣٤] ملوَّحًــا بــين عيــون المــاءِ

فاســمُ سمــوَّ الزاهــدِ الحــواري في درجــات القــرْبِ والجــوارِ

إن زال مُلكُ الأرضِ عنك من ملكْ يا طولَ مُلكٍ في السماءِ تمَّ لك!

---

[٣١] هو عمر بن الخطاب.

[٣٢] عثمان بن عفان.

[٣٣] القرآن.

[٣٤] هو الحسين بن علي، وقد قُتل ظمآن في كربلاء.

## معاوية

في الـدهر لم تصـنع قيـون الهنـدِ ولم يَسُـلَّ الشـرق كـابن هنـدِ
العبقـــريِّ الملـــك الخليفـــهْ السـعدُ كـان أبـدًا حليفـهْ
مـا زال بالحبـال والعِصـيِّ مـن سـحره ففـاز بالوصـيِّ
أرسـل في حـب الأمـور الرَّسَـنَا وفي هـوى الدولـة جـافى الوَسَـنا
حـتى نعـى عليًّـا النُّعـاةُ فانقلبـت ملوكًـا الرعـاةُ
وراقـت الـدنيا ورقَّ الـدينُ وانفجـر التمصـير والتمـدينُ
وصـيَّر البيـتَ سـليبَ الحـقِّ والآلَ مـن سـيادةٍ لـرِقِّ
قـد نصَـبَ الحِلْـمُ لهـم حبـائلا ورُبَّ حِلـمٍ جمـع الغـوائلا
وراضَ مـن شـكائم الأُباةِ بهيبـةِ المُلْـكِ وبالهِبـاتِ
فزالـت الأخـلاقُ والنِّيَّـاتُ وبـذلتْ واديَهـا الحيَّـاتُ
وثَمَّ مـا يسـألُ عنـه الله وصـاحبُ الـدين ومَـن تـلاه
قطـعُ نظـام العهـد في الإسـلامِ وأخـذُه البيعـةَ للغـلامِ
حـتى عـلا التـاجُ علـى العِمامـهْ وعـاد مُلْكًـا نَسَـقُ الإمامـهْ
جنايـةٌ أدركـت الأجنَّـهْ ووقفـتْ للـدين في الأعنَّـهْ
تحـت هـوى الآباءِ للأبنـاءِ حـبُّ البقـاءِ وقِلَـى الفنـاءِ
تشـبُّثُ الوالـدِ بالمولـودِ يُسـحَبُ مـن تَـوهُّمِ الخلـودِ
ارفـع قواعـدَ الفَخَـار وابـنِ لا تـدَّعمْ علـى أبٍ ولا ابـنِ
لا يرفع الجذعُ عن الأرض الثمرْ ولا يحـطُّ نسـبُ الليـل القمـرْ

* * *

لا تعجـبنَّ مـن عظـيمِ مـا فَتَـقْ واعجـبْ لـه كيـف تـلافى ورتَـقْ

مـا كـلُّ ذي حـربٍ وذي لـدادِ بجـــابر الـــوَهْيِ ولا ســـدَّادِ

جـــوُّ الـــولايات خـــلا لنَســـرهِ واجتمـــع الأمـــر لـــه بأســـرِهِ

فـلا تسـلْ عـن انبسـاط المُلْـكِ ورفـــــقِ رُبَّانيِّـــــه بالفُلْـــــكِ

الشـــرقُ تحتـــه كخـــيرِ عهـــدِهِ والغـرب يقضـي ليلَـه بسُـهدِهِ

مبـــــاركٌ لقومـــــه في عُمـــــرهِ ميمونـــة لهـــم معـــالي أمـــرهِ

رَبِّ اعـفُ عـن جرأتـه عليـكَ فـالعفو منـك والرضـى إليـكَ

لم يعـلُ في العفـو عليـه كُفْـوُ فـــأرِهِ كيـــف يكـــون العفـــو

# عَمرو بن العاص

ما بالُ قصرِ الشمعِ لا يُضاءُ؟ ... هبَّ على مصباحه القضاءُ

لا فِتيةُ الرومان في بُروجه ... ولا غوانيهمْ على مروجهِ

ولا الليالي حوله أعراسُ ... وفوقه وتحته أحراسُ

وما لبابليون من بَعد العجمْ ... أمستْ رجامًا في نواحيه الأجمْ؟

لم تُغنِ عنه رفعةُ الأسوارِ ... ولا جثومُ الأسد الأسوارِ[١]

وأين في أُفقيْهما[٢] فسطاطُ ... للنجم عن سُدَّتِه انحطاطُ

قد ألقيا إليه بالمَقالدِ ... وخرجا من طارفٍ وتالدِ

سُرادقٌ ينفذُ حُكمُ ربِّهِ ... من منبع النيل إلى مَصبِّهِ

أوى إلى أطنابه اليمامُ ... لأنها الرحمةُ والغمامُ

وأمِنَ الأعزلُ فيه الشاكي ... وحذر المشكوُّ صوت الشاكي

خفَّتْ به القبابُ والخيامُ ... وسالمتْ ضاربَه الأيامُ

لم يبقَ من ذلك إلا مَسجِدُ ... عالٍ على باع الخطوب مُنجِدُ[٣]

كالكعبةِ الرفيعةِ الدعامِ ... ما حُجَّ إلا مرةً في العامِ

إن كان لم يَعلُ عُلوَّ الهيكلِ ... وليس بالملوَّنِ المُشكَّلِ

لقد تردَّى حُلَلَ الجلالِ ... بالبانيْين الحقِّ والحلالِ

---

[١] الوثَّاب.

[٢] ضمير راجع لقصر الشمع وحصن بابليون.

[٣] مرتفع.

أمــــيرُ كــــلِّ هيكــــلٍ ومعْبـــدِ فاتهمـــا بالســـؤدد المؤبَّـــدِ
نسَّــى الــديانات بمصــر قَبلَــهْ ولا يـــزال للقلـــوب قِبْلَـــهْ

* * *

إســــلامُه وخالـــــدًا في آنِ حــلَّ علــى الشِّــرك بــه رُزْآنِ
الســيف والــرأي بيــومٍ أجْمَعَــا واســتأذنا علــى محمــدٍ معــا
فانقلــب الحــق بهــذا فَــرْدَدا(٤) وعــاد هــذا بالهــدى مُســدَّدا
بالفـــاتحيْن بُشِّـــر الإســـلامُ واســتقبلت آمالَهـــا الأعـــلامُ
كلاهمـــا كـــان رِضـــى النبـــوَّهْ لم تَشْــكُ كَلَّــهُ ولا نُبُــوَّهْ(٥)
وبازُ مَــن صــادَ وســهمُ مَــن رمــى مــن الهُــداةِ الراشــدين الكُرَمــا
مــا ضــرَّ عَمْــرًا مُنضِــجَ الهــواجرِ إن كـــان لم يَنصُـــرْ ولم يُهـــاجِرِ
كــم هجــرَ النــومَ أبــو محمــدِ واكتحــل العِثْــيَرَ بعــد الإثْمَــدِ

* * *

عَمــرُو القنــا والــرأي والجــدودِ رمــى بــه الفــاروقُ في الحــدودِ
علــى فلســطينَ حَمَــى الــراياتِ وحمــلَ الخيــلَ علــى الغــاياتِ
إذا المَضــــيقُ لم يجـــد مَضـــاءَ للســـيف، قـــام رأيُـــه فضـــاءَ
حـــتى حـــوى لعُمَـــرَ الإقليمـــا وحـــاز للإســـلام أورشـــليما
فـــتحٌ تـــولَّى صَـــكَّه الإمـــام وأُخِـــذَ الميثـــاقُ والزمـــامُ
يا صــخرةَ الله اشــهدي أن عُمَــرْ أبــرُّ مــن نهــى وأوْفَى مَــن أمــرْ

* * *

---

(٤)أي سيفًا ماضيًا.

(٥)كَلَّ السيف: لم يقطع، ونبا عن الضربة: ارتد عنها.

سما إلى مصرَ بطَرْفٍ وطمَحْ … ولم يزل بعمَرٍ حتى سمحْ

وجَّهه فهبَّ والغزاةَ … كما أطار الصُّيَّد[٦] البزاةَ

يطوى بهم طابخةَ الركائبِ … آكلةَ البعوث والكتائب[٧]

أنعاكِ أم أسقيك من بَيْدَاءَ؟ … كانت دواءً أبدًا وداءَ

ماذا دهى مصرَ من الطواري … ولقيتْ من ذلك الجِوارِ

كم رعتِها بداهمٍ جرَّافِ … وآفةُ الجسم من الأطرافِ

وربَّ جلَّادٍ على جلَّادِ … سَلَّطتِ وَيْلَيْنِ على البلاد[٨]

كم عصفتْ منكِ السوافي الهوجُ … وهبَّتِ الحاصبةُ السيهوجُ[٩]

وكم بعثتِ بالمبشِّرَاتِ[١٠] … على موات الحق منشراتِ

وكنتِ إن أسلتِ رائدينا … طويتِ دِينًا ونشرت دينا

* * *

شُرِّفتِ بالعذراءِ والمهاجِرِ[١١] … وبالخليل آيبًا بهاجَر

وسيق فيكِ يوسفٌ جليبا … فلقِيَ التمليكَ والتغليبا

ووطِئت بساطَك الأسباطُ … وانتظم الشملُ والاغتباطُ

وخُزتِ موسى جائِلًا وجائبا … يستقبلُ الآياتِ والعجائبا

ومُصبِحًا بقَفرةٍ ومَجهلِ … ومُمسيًا بربوةٍ ومَنهلِ

---

[٦] جمع صائد، والبزاة: جمع باز.

[٧] إشارة إلى الصحراء.

[٨] أي: ربَّ غازٍ فاتح رميت على وادي النيل فجاءه غازٍ آخر من الجيوش المغيرة يخرجه فكانا ويلين على البلاد.

[٩] السيهوج من الرياح الشديدة.

[١٠] المبشرات الرياح الطيبة، إشارة على الذين دخلوا مصر من الصحراء من الرسل والحواريين.

[١١] عيسى إذ هو طفل.

وطالِعًـــا مخـــارمَ الجبـــالِ وقـابسَ النـور على الأقبـالِ[١٢]

ترمين أرضَ النيل عن قوس الفَلَكْ يومًـا بشـيطانٍ ويومًـا بمَلَـكْ

تهـــدين نـــورًا تارةً ونارا والطــامس المنـــارِ والمنـــارا

حـتى مشـتْ كتيبـةُ الحـواري عليـك كـالأنواءِ والأنـوار[١٣]

وما النجومُ الزُّهْرُ حَفَّتْ بالقمرْ أروع من عَمرو على خيل عُمَرْ

ولا قنا الأسباطِ[١٤] حول يُوشَعا أعـفَّ مـن قناهمـا وأخشـعا

* * *

كتيبـــةٌ قليلـــةُ العديـــدِ كثـــيرة بـــدِينها الجديـــدِ

طـوتْ إلى مصـرَ القفـارَ طيًّـا وركبـــتْ رياحَهـــا مَطيًّـــا

فبلـغ العُمْـرانَ عمـرٌو فرمـى بجمعـه الـروم حِيـال الفَرَمَـا[١٥]

تسـلقوا حصـونَها تَسَـلُّقا واقتحمـوا مارِدَهـا والأبلقـا

واخترقـوا التخـومَ والحـدودا سـبحان مـن يُـداول الجـدودا

ورووِدتْ بلبـيسُ حـتى أذعنـتْ ورُكبـتْ بالمسـلمين إذ عنـتْ

ترجَّـل الحمـاة عـن حصـونها ونـزل الأُباة عـن مَصـونها

وظلَّـتِ الخيـلُ تجـوب الـوادي أنـدى على الريـف مـن الفـوادي

يسـيرُ في رُخائهـا المـلَّاح ولا يحـسُّ وطْأهـا الفـلَّاح

حـتى بـدت منـازل الرومـانِ سـاهرةَ الخَطِّـيِّ[١٦] واليمـاني

في حضـنِ حِصـنِ أو ذَرَا لـواءِ بعيـدَيِ المَصْـعَدِ في الجِـواءِ

---

[١٢] المرتفعات من الأرض.

[١٣] الأنواء الأزهار: والأنوار الأضواء.

[١٤] الأسباط من اليهود كالقبائل من العرب.

[١٥] موضع من الحدود كان محصَّنًا.

[١٦] الرمح والسيف.

| | |
|---|---|
| فنزلـــوا ســـوادَ عـــينِ شمـــسِ | وِســـادُهم رِحـــالُهم كـــأمسِ |
| وجثمـــوا إلا عيـــونًا ســـاميهْ | تجـسُّ حصـنًا أو تجـوس حاميـهْ |
| فخـــرج الرومـــانُ للقتـــالِ | في جحفـــلٍ مـــدجَّجٍ مُختـــالِ |
| رحـــى الـــوغى بمثلـــه تـــدور | وقطبهـــا في قلبـــه «تِيـــدور» |
| لـيس لَعمـرٍو مـا لـه مـن كثـرهْ | وخـــوذةٍ وشِـــكَّةٍ ونثـــرهْ |
| فأقعـد الغـازي لـه الكمينـا | وأخـذ الشِّـمالَ واليمِينـا |
| يـــومٌ عليـــه بُنيـــتْ أيام | لأمَّـــةٍ جـــدودُها قيـــام |
| مـن يصـطبرْ للصـدمة الأولى يَسُـدْ | لا يصلح الفَلُّ[١٧] ولو كانوا الأُسُدْ |
| ببـاب أليـونَ تيـودور اعتصـمْ | فـيمن وَهَـى مـن الصـفوف وانفصمْ |
| وجـــيء بالأمـــدادِ والســـوادِ | مـن شـحنةِ الـروم وقِـبطِ الـوادي |
| وظـن أن الحصـنَ مُعجـز العـربْ | فمـا لهـم غـير النكـوص مُضـطَربْ |
| فـــإن أبـــوْا أدَّبَهـــم بيـــومِ | مـــا بعـــده قائمـــةٌ للقـــومَ |
| فـــوردتْ كتيبـــة الـــزُّبيْرِ | وعُمَـــرٌ مصْـــدرُ كـــلِّ خـــيرِ |
| وظـــل بابليـــون وهـــو عـــاصِ | علـى الـزبيْرِ وعلـى ابـن العـاص |
| حـــتى تســـوَّرَ الـــزبير سُـــورَه | واغـــترَّ في وُكُونِهـــا نُســـورَه |
| مشـــى علـــى ناقوسِـــه مكـــبِّرا | يا لـــكَ ناقوسًـــا أُحيـــلَ مِنـــبَرا |
| أوفَى علـى القـوم فريـعَ الـبرج | بفـــارسٍ لـــه الســـماءُ سَـــرْجُ |
| صـوتٌ هفـا في الحصـن بالعـزائمِ | كنبْـأَةٍ في جـوف أيْـكٍ نائـمِ |
| فضـاع رشـد الـروم والصـوابُ | وفُتحـتْ مـن نفسـها الأبـوابُ |
| تبـــارك الله وجلَّـــتِ العـــربْ | لم يثَـنِهم جـوٌّ ولم يَعُـقْ سَـرَبْ |
| مـن فـتحِ بلبـيسَ لِعـينِ شمـسِ | لا يُصـبِحُ الضـيغَمُ حيـث يُمسِـي |

---

[١٧] بقية الجيش المنهزم.

وركب العِلْج[١٨] العصا[١٩] بمن معهْ ... إلا قلـيلًا غـودِروا في المعمعـهْ

يبغـي دمنهـورَ بهـم فجاءهـا ... في مَـدَد قـد ملئـوا أرْجاءَهـا

وإذا علـى آثاره خيـل العـربْ ... وخيلُـه مـن هـربٍ إلى هـربْ

بعـد قتـالٍ جـال فيـه الـروم ... وطـاح أبطـالهمو القـروم

وانـدفعت خيـل الإمـام تعـدو ... يَقـدمُها الـيُمن ويحـدو السـعد

حـتى بـدا الثغـر فـودَّتْ قُبلـهْ ... كما اشتهى العبْسيُّ[٢٠] ثغرَ عَبلَهْ

ورابطـتْ فجـرَّتِ الأرسـانا ... والتفتـت تعاتـب الفرسـانا

وطيـفَ بالثغـرِ فـلا ثنيَّـهْ ... إلا عليهـا رَصَـد المنيَّـهْ

فكيـف لا يُـودِي برشْـدِ قيصـرا ... أو بصـواب قومـه أن تُحصَـرا

أقـامهمْ سـقوطها وأقعـدا ... وزعمـوه فـوق طاقـة العِـدا

* * *

وكـان في الإسـكندرية المـلا ... أملـكَ في سـلطانهم وأكمـلا

جمـوعُهمْ في سـاحها بـلا عَـدَدْ ... والبحـر يغـدو ويـروح بالمـدَدْ

ومـن أصـاب البحـرَ في سـلطانِه ... تقضَّـتِ الأيام والشـهور

عـدَّ جميـعَ الأرض مـن أوطانِـهِ ... والسـيف في غـير وغًـى مشـهور

يفـترُّ عـن لألائـه فـم الجُمَـعْ ... وتحتهـا للثغـر خـوفٌ وطمـعْ

وربُّـه يسـتنزل الرومـانا ... ويعـرض الإصـلاحَ والأمـانا

حـتى أُعـينَ رَجُـل الإمـامِ ... برَجـل القياصـر الهمـامِ[٢١]

---

[١٨] كل عظيم من الروم.

[١٩] ركب العصا أي هرب، من المثل المشهور: فاز من ركب العصا، والعصا فرسٌ لها قصة.

[٢٠] عنترة المشهور، وعبلة حبيبته.

[٢١] هو المقوقس عظيم القبط يوم ذاك.

وفُتحـــت مدينـــة الإســـكندرِ صُـلحًا وصـفوًا لـيس بالمُكـدَّرِ
تأخَّـر السـيف وشـارط النـدى يا غَـبْن مـن يُشـارط المُهنَّـدا
فقيـل راعـى المسـلمين الـوالي وكـان في السـرِّ لهـم يُـوالي
وقيـــل بـــل ذو مـــأربٍ أرادَا بسُـــلطة الكنيســـةِ انفـــرادا
وكـان في فَـروق سـلطان البِيـعَ تعنوا لـه في سـائر الأرض الشِّيَعْ
حكـمٌ جفـاه الاعتـدال وقسـا إني أراهـــم ظلمـــوا المُقوقَســـا
لعلـــه تبـــيَّن الحقائقـــا وذاد عـن مصـرَ بـلاءً حائقـا
ووجـــد الرومـــان والقياصـــرا لا يَملكـــون في الـــبلاد ناصـــرا
يرونهـــا العنـــف والاســـتكبارا ولا تُحـــبُّ الأمـــمُ الجبَّـــارا
ممـا مضـى الـدهر عليـه والأُوَلْ أن النجـاحَ لفتيَّـات الـدُّوَلْ

# خالد بن الوليد

مَن طَبع السيفَ ومن جلَّاهُ؟ ... هل يصنُع الآياتِ إلا اللهُ؟

إنْسُ الحديد، بَشَرُ الفِرنْدِ ... ليس بصنعِ يَمَنٍ أو هندِ

وكيف لا يَصحبه المَضاءُ ... وقينُه المقدارُ والقضاءُ

قُلّدَه من ربّه محمَّدُ ... يسُلَّه بإذنه ويُغمِدُ

خُلِقتُ لا أعظِّمُ السيوفا ... إلا الشريفَ العاليَ العَيوفا

المفتدى بحدِّه من مظلمهْ ... والمهتدَى بنوره في المُظلِمهْ

والناصرُ الحقَّ على المُقاتلِ ... والضاربُ الباطلَ في المَقاتلِ

والرافعُ الدُّولاتِ ركنًا ركنا ... بالحق بنيانَ الخليل الرُّكنا

كابن الوليد مَوْئِلِ الأعلامِ ... سيف الإله أسد الإسلامِ

طلَّقَ جاهلَّيةَ المعاصي ... ودخل الإسلامَ وابنَ العاصِ

كلا العظيمين فتى قريش ... صدرُ نَديّ، ولواءُ جيشِ

تخيَّر السمحةَ غيرَ دار ... ما خلفها من عجب الأقدار

من نِعمٍ تترى وعيشٍ مُرغَدِ ... وشأنِ اليوم وذِكرٍ في غدِ

سبحانَ ربّي مُنشئ النوابغِ ... مَرتجِل المواهب السوابغِ

هل خالدٌ إلا فتى من فِهْرِ ... لم يشتهرْ بصوْلةٍ وقهرِ

مَنزلةٌ في غالب عَليَّهْ ... وشِيمٌ تقطر جاهليَّهْ

زهوُ الصناديدِ بني الجِلادِ[1] ... ونفخةٌ بالقوم والميلاد

نفسٌ غذتْها الجاهليةُ الدَّما ... وأرضعتها جرأةً ومقدَما

وهُيةٌ كالجوهر الوقّادِ ... لم تبدُ للصائغ والنَّقّادِ

---

[1] الجِلاد: القتال.

فكان من عناية السلامِ ... به اكتسابُ أدبِ الإسلامِ
إذا كان في دولته مجال ... فيه جَلتْ أسرارَهَا الرجالُ
لا بد للعقل الكبير من وسطْ ... وللشعاع من مدًى ومُنبسَطْ
ربَّ هباتٍ ذهبت هَباءَ ... كما أتى بها الترابُ باءَ
موفَّق الآراءِ والراياتِ ... معلَّقُ الهمة بالغاياتِ
إذا غزا عن النبيّ أو سَفرْ ... اقترحَ النجْح عليه والظَّفرْ
سمَّاه سيفَ الله يوم مؤتَهْ ... مُعظِّمًا في الآخِرين شأنَهْ
فما مضى في موطنٍ أو همَّا ... إلا وكان اسمًا على مُسَمَّى
أليس كافِيَ الإمام الشدَّهْ ... وقامعَ الفتنةِ يومَ الرِّدَّهْ؟
وقاتلَ الكذَّابِ[2] في المعاركِ ... وكلِّ أفَّاكٍ له مشارِكِ
أيامه مشهورةٌ في فارسِ ... مسطورة في صحف الفوارسِ
خاض بها الوقائعَ الكبارا ... وفتح الحيرةَ والأنبارا
واحتاجتِ الشام إلى هُمامِ ... أروع يحمى عسكر الإمام
يقحُمها على جموع الرومِ ... وينثني بفتحها المروم
وهي تموج بجموع قيصرا ... وعالَمٍ من عربٍ تنصَّرا
قبائلٌ فؤادها موَزَّع ... دينٌ هو الغالي وعِرْقٌ ينزِعُ
فلم تقعْ إلا عليه الخِيرهْ ... إن الرجال أفضلُ الذخيرهْ
فخفَّ للغِياث في ليوثِ ... صحابةٍ أهِلَّةٍ غيوثِ
خلَّى العراقَ وتولَّى الشاما ... نجمًا لأهوال السرى جشَّاما
يقطع غُفْلًا ويجوب بائرا ... إن المُغيث من أتاك طائرا

---

(٢)مسيلمة، وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله.

فكان في السَّماوة[٣] الرئبالا ... لا تذكر الألبَ وأنّيبالا
تخِفق فوق رأسه العقاب[٤] ... في مَهمهٍ تُنكره العقاب
حتى حوى الجيش القرى فصارا ... بين ديار العرب النصارى
أحراس تخمٍ وحُماة حدِّ ... وحاطة الأطراف من تعدِّ
سل تدمرًا والقريتين وأركْ ... هل ثبتوا لخالد في معتَرَكْ
وسلْ به غسَّانَ كيف صُبِّحوا ... بالخيل جاءت من بعيد تضبَح
هبَّتْ على الشام قبولًا ريدهْ[٥] ... فاستروحَ الغوثَ أبو عَبْيدَهْ
أوفتْ على اليرموك تَطغَى من طربْ ... يا مأتمَ الروم ويا عرْس العرب!
أقبل سيف الله يزجى خيلَهْ ... ويلَ هِرَقَلٍ منه ثم ويلَه!
وأمَّر الجيش عليهم خالدا ... وانتظروا اليومَ العظيم الخالدا
فعُبِّئَ الحزبان للِّطامِ ... طامٍ يعِبُّ لنزالِ طامِ
تراءيا على تفاوتِ الفئهْ ... ذا مائتا ألفٍ وذا نصفُ المائهْ
ونشبت جائحة[٦] الدهورِ ... عدوةُ القاهر والمقهورِ
فداهمَ الرومَ الرَّعيل المسلم ... إن العتيق[٧] بالعِتاق أعلَم
واخترق الهيجاءَ فرسان العجمْ ... تحت سروج الخيل أو فوق اللَّجمْ
أما الرُّجالَى[٨] فاحتمَوْا في الخندقِ ... ليلًا فمُسُّوا بالبلاءِ المحدِقِ

---

[٣] مفازة مشهورة بين العراق والشام، اختارها خالد بن الوليد فكان عملًا عظيمًا له شأن في تاريخ الحروب.

[٤] العقاب الأولى: راية الرسول، والثانية: الطائر المعروف.

[٥] أي هبت الأمداد هبوب الريح اللينة، فوجد أبو عبيدة ريح الغوث والنجدة.

[٦] أي نادرة الدهور، وهي الحروب.

[٧] أبو بكر؛ أي هو أعلم باختيار الخيل.

[٨] جمع راجل، وهو في الحرب خلاف الفارس.

يــومٌ كبــدرٍ في الفتــوحِ منزلَــهْ        أمسَــى هِرَقـلٌ بعـده لا عـزَّ لـهْ
لمـــا رأى ســـلطانه تـــداعى        صــاح: الـوداعَ سـوريا الوداعـا

# دولة بني أميَّة

علمت أن السيفَ بنَّاءَ الدوَلْ ... وركنُها في الآخرين والأوَل

ما زال في الممالك الأساسا ... به بناها مَن بنى وساسا

يَقصِر حبلَ الملكِ أو يمدُّه ... ما رسمَ الحدودَ إلا حدُّه

لم يَبنِ للفرس ولا الرومانِ ... حائطَ ملكيْها سوى اليماني

وأيُّ دينٍ بسوى السيف انتشرْ؟! ... كم أُيِّدت بالسيف أديان البِشرْ!

لم يُغنِ داعي الحقِّ والفلاحِ ... عنها وأغنتْ صَلَّةُ السلاحِ

فلا تقولَنَّ بغتْ مَرْوانُ ... ووطَّأ الملكَ لها العُدوانُ

كذاك قبلُ كانت الممالك ... وبعدُ لم تختلف المسالكُ

تنال بالقوة مبتغاها ... وإنما أذهبُها أبغاها

في الشرق والغربِ بنَتْ أميَّهْ ... سلطنة ليس لها سميَّهْ

خلاقةٌ على البسيطةِ احتوتْ ... شرقَ الثرى حازت وغَرْبَه حوتْ

حيزتِ بجُند الحِيَل المجنَّدِ ... وأحرزتْ بالرأي والمُهنَّدِ

احتازها من الجريء القُلَّبُ ... وغلَب الليثَ عليها الثعلبُ

بنيان قطب الملكِ والرياسهْ ... داهية الأمور والسياسه

وناها من آله ملوك ... تفاوتوا واختلف السلوك

فمنهمو الدرُّ ومنهمو الحصا ... ومَن هو السيف ومَن هو العصا

خليفة بَرَّ وآخرٌ فَجَرْ ... ذا حَجر[1] الأرض وذا بعض الحجرْ

ما تلك إلا دولةُ الزمانِ ... حلَّتْ محلَّ دولة الرومانِ

من الطِّراز العربيِّ الأوَّلِ ... على الدخيلِ قطُّ لم تعوِّلِ

---

[1] حجر الأرض: الرجل العظيم.

لم تعتمــدْ علــى عقــول فــارس ولا ســيوف الــدَّيلَمِ الفــوارسِ

كالشمس في الشرق زَهتْ ضُحاها والغــرب لا يخــرج عــن رُحاهــا

تقلَّـــبَ الإســـلام في رَخائِهـــا وجَـــرَتِ الآمـــال في رحائهـــا

وزخـــرتْ بالعلـــم والبيـــان وأخرجـــتْ فرائـــدَ الأعيـــانِ

حاز لواءَ الشعر فيها الزَّردَق[٢] جريـــر والأخطـــل والفـــرزدق

وما رأي المنبرُ من عِطْفَى مَلك كـابن أبي سفيانَ أو عبدِ الملكْ

أو كـــزيادٍ خطبـــةً إذا انـــبرى والثقفـيِّ[٣] حـين يرقـى المنـبرا

ورزقـــتْ أربابَ ســـيفٍ قـــادهْ أعطتهمـــو الممالـــكُ المقـــادهْ

فنابهـــا المهلَّـــب الغضـــنفرُ وغابهـــا قتيبَـــــة المظفَّـــــرُ

سـل ثَـبَجَ البحـر وعـرضَ الـبرّ عــن طــول باع الفــاتحين الغُــرّ

ابـــنِ نُصـــيْرٍ مرسِـــلِ البُـــزاةِ والحَكَـــمِ الحـــاكم في الغـــزاة

* * *

أمـــا دمشـــقُ فمقـــرُّ المُلْـــكِ ومقعــدُ التــاج ونَظْــمُ الســلكِ

بــل شــامةٌ والشــامُ جنــةُ الثرى تَــرِفُّ فردوسًــا وتجــري كــوْثرا

مهـــدُ معـــالي مُلكِهـــمْ وأُسُّـــها لا عجــبٌ أن يرفعوهــا للسُّــها

ظلَّـــتْ علـــى أيامهـــم تَزيَّـــدُ تعمرُهـــا يـــدٌ وتكســـوها يـــدُ

وتُزلَـــفُ الـــدنيا لهـــا وتُجْـــبَى وينثـــني بهـــا الزمـــانُ عُجْبـــا

حـــتى جلتهـــا دَولـــةُ الوليـــد في أزيـــنِ الطريـــفِ والتليـــدِ

وكَملـــتْ محاســـنُ العـــروسِ وعُـــوِّذتْ بالجـــامع المحـــروسِ

تأنَّقـــتْ يـــدُ الوليـــد فيهـــا واســـتبَقَتْ أكـــفُّ مُترَفيهـــا

---

[٢] الزردق: الصف.

[٣] الحجاج.

فأصبحتْ حديقةَ الفنونِ وهيكلًا من مَرمر مسنونِ
تفيضُ من عجائب العِمارة وحُجَرِ الصلاة والإمارةُ
ثم هوى أقمارُها وأبعدوا فحلفتْ بعدَهمو لا تسعَد

* * *

رمتْ يدُ الدهر بني مروانا إن لكلِّ مصرعٍ أوانا
فذهبوا عن حسناتٍ تُذكَرُ وسيئاتٍ جمَّةٍ لا تُنكَرُ
أما الأمورُ فهمو دُهاتُها دنتْ ودانتْ لهمو جهاتُها
وهم على الأمر العظيم أصبَرَ لا يقربون اليأسَ حتى يُقبروا
أقوى بيوت العرب التئاما وخيرُها بيتهمو وِئاما
شبَّانُهم من طينةِ الأبالسِ وشيبُهم أنكَرُ في المجالس
إذا جروا لغايةٍ لم يحفِلوا ما المركبُ الأعلى ولا ما الأسفلُ
منهم من استحسن قتلَ الآلِ ولم يخفْ مساوئ المآلِ
ومن رمى الكعبةَ بالحجارةْ وذعر البيت وراع جارةْ
ومنهمو من مزَّق الكتابا معاتبًا، يا قبحَه عتابًا!
عاقر غِلمانُهمو المُداما ولازموا القيان والنَّدامَى
وانغمسوا في الشهوات والترفْ وأفسدوا شبَّان أبناءِ الشرفْ
رَعَوْا على اليقْظَةِ ثم ناموا فأصبحت للأسد الأغنامُ
جنى عليهم سَرَفُ الأُبُوَّةْ وبَغيُهم على بني النبوَّةْ
ونصبُهم للحُكم كل غاشِم جرتْ يداه في دماءِ هاشِم
ولعنُهم خُلاصةَ الأكابرِ أبا الزَّكيَّيْنِ، على المنابرِ
وغدرُهم بابن نصيْرٍ الوفي مُشيِّد الدولة في البرِّ وَفِي
أمسَوْا حماهم حرمُ الأمانِ وأصبحوا طريدة الزمانِ

مـــروانُ وهـــو منتهـــى أميَّـــهْ لم يفقـــدِ العـــزمَ ولا الحَميَّـــهْ

قاتـــلَ حـــتى خانـــه المجـــالُ وأســـلمتْ دولتَهـــا الرجـــالُ

والجنـــدُ كالـــدنيا مـــع المُوفَّـــقِ أعوانُـــه علـــى الشـــقيّ المُخفِـــقِ

فلـــم يـــزلْ مـــن بلـــدٍ إلى بلـــدْ بالـــنفس ينجـــو والنســـاءِ والولـــدْ

حـــتى رمـــى مصـــرَ بـــه المصـــيرُ وهُيّئَـــتْ قـــبرًا لـــه بوصـــيرُ

وآلُـــهُ بـــين مخالـــب الأســـدْ ينتـــزعُ الـــروحَ ويهتِـــكُ الجســـدْ

قـــد وطِئـــوا النُّطـــوعَ لا النمارقـــا وطـــأطئوا للســـائف المَفارقـــا

دنيـــاهمو مســـدودةُ المـــذاهبِ ودورُهـــم لواهـــبٍ أو ناهـــبِ

وحـــــزبُهم ممتنِـــــعُ الهُـــــدُوّ حثيثـــةٌ فـــيهم يـــدُ العـــدوّ

حـــتى إذا قيـــل خلـــتْ مـــروانُ وذهـــب الســـلطانُ والأعـــوانُ

تلفَّـــتَ النـــاسُ وراعهـــمْ عَجَـــبْ الكوكبُ الشرقيُّ في الغرب احتجب

صـــقرُ قـــريشٍ منعـــوه جِلَّقـــا فطـــار في قرطُبـــةٍ وحَلَّقـــا

أنشـــأ مُلْكًـــا أمـــويًّا ضـــخما كمُلْـــك كســـرى رُقَعـــةً وتَخْمـــا

ودولـــة قصَّـــر عنهـــا قيصـــرُ سمـــا بهـــا المُمَـــدَّنُ الممصـــرُ

زهـــــراء في قرطبـــــةٍ تألَّـــــقُ بغـــدادُ منهـــا اقتبســـتْ وجلَّـــقُ

## صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

### موشح أندلسي

مــن لِنِضــوٍ يتَنَــزَّى[1] ألمــا … بــرح الشــوقُ بــه في الغَلَــسِ
حــنَّ للبــان وناجَــى العَلَمــا … أيــن شــرقُ الأرضِ مــن أنــدلسِ

* * *

بلبــلٌ علَّمــه البــينُ البيــانْ … بات في حَبـل الشـجون ارْتَبكـا
في سمــاءِ الليــل مخلــوعُ العِنــانْ … ضــاقت الأرضُ عليــه شَــبَكا
كلمـا اسـتوحش في ظـل الجنـانْ … جُنَّ فاستضحك من حيث بَكى
ارتــــدى بُرْنسَــــه والْتَثَمــــا … وخَطـا خُطْـوةَ شـيخٍ مُـرْعَسِ[2]
ويُــرى ذا حَــدَبٍ إن جَثمــا … فــإنِ ارتَــدَّ بــدا ذا قَعَــسِ[3]

* * *

فَمُــه القــاني علــى لَبَّتــه … كبقــايا الــدَّم في نَصْــلٍ دقيــقْ
مَــده فانشَــق مــن مَنْبتِــهِ … من رأى شِقَّيْ مَقَص من عقَيقْ
وبكــى شــجْوًا علــى شُــعْبته … شجْوَ ذات الثُّكل في السِّتر الرقيقْ
سَـلَّ مـن فيـه لسـانًا عَنَمَـا[4] … ماضِــيًا في البَــثِّ لم يَحْتــبِسِ
وتَــرٌ مــن غــير ضَــرْب رَنَّمــا … في الــدجى أو شــررٌ مــن قــبسَ

* * *

---

[1] يتنزَّى: يتوثب.

[2] المرعس: من رعس الرجل إذا مشى مشيًا ضعيفًا من الإعياء.

[3] القعس: ضد الحدب، وهو نتوء الصدر.

[4] العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه البنان المخضوب.

نَفَــرت لوعتُــه بعــد الهُــدوءْ     والــدُّجى بيــتُ الجَــوى والبُرَحــا
يتَعـــــايا بجنَـــــاح وينَـــــوءْ     بجَنــاحٍ مــذ وهَــى مــا صَــلحا
ســاءه الــدهرُ ومــا زال يســوء     مــا عليــه لــو أسَــا مــا جَرَحــا
كلَّمــــا أدمــــى يديــــه نَــــدَما     ســــالتَا مــــن طوْقــــه والــــبُرنس
فَنبــــتْ أهدابــــه إلا دَمــــا     قــام كاليــاقوت لم يَنْــبَجسِ(٥)

* * *

مَــد في الليــل أنِينًــا وخَفَــقْ     خفقَــان القُــرط في جنْح الشَّـعَرْ
فَرغَــتْ منــه النــوى غــير رَمَــقْ     فَضْــلَةَ الجُــرح إذا الجــرحُ نَغَــر
يتلاشــــى نَــــزَواتٍ في حُــــرَقْ     كــذبَالٍ آخــرَ الليــل اســتعرْ(٦)
لم يكــن طوْقًــا ولكــن ضَــرَما     مــا علــى لَبَّتــه مــن قَــبَسِ
رحمـــةُ الله لـــه هـــل علِمـــا     أن تلــك الــنفس مــن ذا الــنفسِ
قلـــت: للَّيـــل وللَّيـــل عَـــوَادْ     من أخو البَثِّ فقال: ابنُ فِراقْ
قلتُ: ما واديه، قال: الشجوُ وادْ     لــيس فيــه مــن حجــاز أو عِــراقْ
قلــتُ: لكــن جفنــه غــير جــوادْ     قــال: شرُّ الــدمع مـا لـيس يُـراقْ
نَغِــبط الطَّــيرَ ومــا نعلــم مــا     هــي فيــه مــن عــذابٍ بَــئِسِ
فــدَعِ الطَّــيرَ وحظًّــا قُسِــما     صَــيَّر الأيــكَ كــدُور الأنــسِ

* * *

ناحَ إذ جَفنـاي في أسْـر النجـومْ     رَسَفَا(٧) في السُّهد والدَّمعُ طليقْ
أيهــا الصــارخ مــن بحــر الهمــومْ     مـا عسـى يُغني غريقٌ عن غريقْ

---

(٥)لم ينبجس: لم يتفجر.

(٦)يقال جرح نغَّار؛ أي جيَّاش بالدم.

(٧)رسفا: تقيدا.

إن هـذا السَّـهمَ لي منـه كُلُـومْ		كلّنــــا نازحُ أيــــكٍ وفريــــق
قلّــب الــدُّنيا تجــدها قِسَـــما		صُـــرِّفَتْ مــن أنْعــم أو أبْــؤسِ
وانْظـرِ النـاسَ تَجِـدْ مـن سَـلِما		من سـهام الـدهر شـجَّته القِسِـي

* * *

يا شبابَ الشرق عنوان الشَّباب		ثمـرات الحَسَـب الزَّاكـي النَّمـيرْ
حَسبُكم في الكرمِ المَحض اللَّباب		سِـيرةٌ تَبقـى بقـاءَ ابـنَيْ سمـير[8]
في كتاب الفخر «للداخل»[9] اب		لم يَلجْـه مـن بـني المُلْـك أمـير
في الشموس الزُّهرِ بالشام انتمى		ونَمــــى الأقمـــارَ بالأنـــدلس
فعَــد الشـــرق علــيهم مأتَمـــا		وانثـنى الغـربُ بهـم في عُـرُس

* * *

هــل لكــم في نبــأ خــير نَبَــأ		حِلْيــةِ التــاريخ مــأثور عظــيمْ
حـل في الأنْبـاءِ مـا حلَّـت سبأْ		منزل الوُسطى من العقد النَّظيم
مثلَــه المقــدارُ يومًــا مَــا خَبَــأْ		لسـليب التـاج والعـرش كَظـيم
يُعجِـــزُ القُصَّـــاصَ إلا قلَمـــا		في سـوادٍ مـن هـوًى لم يُغمَـسِ
يُــؤثر الصِّــدق ويجــزي عَلَمــا		قلَــب العــالَمَ لــو لم يُطْمَــس

* * *

عــن عِصــامِيٍّ نبيــل مُعْــرِقِ		في بُنــاةِ المجــد أبنــاءِ الفَخَــار
نهضـــتْ دولـــتهم بالمشـــرقِ		نهضـة الشـمس بأطـراف النَّهـار
ثم خــان التــاجُ وُدَّ المفْــرقِ		ونَبَــتْ بالأنجـم الزُّهـر الـديارْ
غفَلـوا عـن سـاهرٍ حـول الحِمـى		باســطٍ مــن ســاعِدَيْ مُفــتَرِس

---

[8] ابني سمير: الليل والنهار.

[9] هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بني أمية في الأندلس.

حـام حـول الملـك ثم اقتَحمـا ... ومشَـى في الـدم مشـي الضَّـرِسِ

* * *

ثأرُ عثمـــانَ لمـــروان مَجَـــازْ ... ودَمَ السِّـبْط[١٠] أثار الأقَربُـونْ

حَسَّـنوا للشــام ثأرًا والحجــاز ... فتَغَــالى النــاسُ فيمــا يطلبــونْ

مَكْرُ سُوَّاسٍ على الدَّهْمَاءِ جازْ ... ورُعَـــاةٌ بالرَّعَـــايا يلعبـــون

جعلــوا الحــقَّ لبَغْــيٍ سُــلَّما ... فهــو كالسِّــتر لهــم والــتُّرُسِ

وقــديمًا باسمــه قــد ظَلَمــا ... كــلُّ ذي مِئْذَنَــةٍ أو جَــرَسِ

* * *

جُزِيـتْ مـروانُ[١١] عـن آبائهـا ... مـا أراقـوا مـن دِمـاء ودمـوعْ

ومــن الــنَّفس ومــن أهوائهــا ... مـا يؤدِّيـه عـن الأصـل الفـروع

خَلَــتْ الأعــوادُ مــن أسمائهــا ... وتغطَّــت بالمصــالِيب الجــذوع

ظَلَمتْ حتى أصابت أظْلَما[١٢] ... حاصـدَ السـيف وبِيءَ المَحْـبسِ

فِطنًـــا في دعـــوة الآلِ لِمـــا ... همَـس الشَّـاني ومـا لم يَهْمِـسِ

* * *

لبِســت بُــرْدَ النــبِيّ النَّــيِّرات ... مـن بـني العبَّـاس نـورًا فـوق نـور

وقــديمًا عنــد مــروان تِــراتْ ... لزَكيَّــاتٍ مــن الأنفُــس نــور

فنَجـا الـدَّاخلُ سـبْحًا بالفُـرات ... تارك الفِتنـةِ تَطْغـى وتَنـور[١٣]

غَـسَّ[١٤] كـالحوت بـه واقتَحَمـا ... بــين عِبْريــه عيــون الحَــرَسِ

---

[١٠] يعني بالسبط: الحسين بن علي صلوات الله عليه.

[١١] يعني بمروان: بني مروان.

[١٢] الأظلم هنا هو أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني عباس، وقد سلب بني أمية ملكهم.

[١٣] نارت الفتنة: وقعت وانتشرت.

[١٤] غس: دخل ومضى.

ولقـد يُجـدي الفـتى أن يَعلَمـا صَـهْوةَ المـاءِ ومَـتْنَ الفَـرَسِ

* * *

صـحِب الـداخلَ مـن إخوتِـه حـدثٌ خـاض الغمـار ابـن ثَمـانْ

غلَـب المـوج علـى قوَّتـه فكـأن المـوج مـن جُنْـدِ الزَّمـان

وإذا بالشَّـط مـن شِـقْوته صـائحٌ صـاح بـه: نِلـتَ الأمـان

فـانثنى مُنْخَـدِعًا مُستسـلِما شـاةٌ اغـترَّتْ بعَهـد الأطْلَـسِ[١٥]

خضَـب الجُنـد بـه الأرض دَمـا وقلـوبُ الجُنـد كالصَّـخر القَسِـي

* * *

أيهـا اليـائسُ مُـتْ قبـل المَمَـاتْ أو إذا شـئتَ حيـاةً فالرَّجـا

لا يَضـقْ ذَرْعُـك عنـد الأزَمـات إن هـي اشـتدَّت وأمِّـلْ فَرَجـا

ذلـك الـداخلُ لاقـى مُظلِمـاتْ لم يكـن يأْمـل منهـا مَخْرَجـا

قـد تـولَّى عـزُّه وانصـرما فمضـى مـن غَـدهِ لم يَيـأس

رام بالمغـرب مُلْكًـا فرمـى أبعـدَ الغَمْـرِ وأقصـى اليَـبَسِ

* * *

ذاك والله الغـنى كـلُّ الغِـنى أيُّ صـعبٍ في المعـالي مـا سَـلَك

لـيس بالسـائل إن هـمَّ مـتى لا ولا النـاظرِ مـا يُـوحي الفَلـك

زايـل المُلـك ذَوِيـه فـأتى مُلـكَ قـومٍ ضـيَّعوه فملـك

غَمَـراتٌ عارضَـت مُقْتَحمـا عـالِيَ الـنفس أشـمَّ المعْطَـسِ[١٦]

---

[١٥] الأطلس: الذئب.

[١٦] المعطس: الأنف.

كـلَّ أرضٍ حـلَّ فيهـا أو حِمـى     منزلُ البدرِ وغابُ البَيْهسِ[17]

* * *

نَـزَل النَّـاجي على حُكْـم النَّوى     وتَـوارى بالسُّـرى مـن طالبيـهْ
غـيرَ ذي رَحْـلٍ ولا زادٍ سـوى     جـوهرٍ وافـاه مـن بيـت أبيـه
قمـرٌ لاقـى خسـوفًا فـانزوى     لـيس مـن آبائـه إلا نَبِيـه
لم يَجِـدْ أعوانَـه والخَـدما     جـانبوه غـيرَ «بـدر» الكـيِّسِ
مـن مَواليـه الثقـات القـدَما     لم يخُنـه في الزمـان المُـوئِسِ

* * *

حـين في أفريقيـا انحـلَّ الـوِئامْ     واضـمحلَّت آيـةُ الفـتح الجَليـل
ماتـت الأمـة في غـير التئـام     وكثـير لـيس يلتـامُ قليـلْ
يَمَـنٌ سَـلَّت ظُباهـا والشـآم     شـامَها[18] هنديـةً ذاتَ صـليل
فـرَّق الجنـدَ الغِنى فانقَسَـما     وغـدا بيـنهم الحـقُّ نسِـي
أوحـشَ السـؤددُ فـيهم وسَمـا     للمعـالي مـن بـه لم تأنَـسِ
رُحِمـوا بالعَبقـريِّ النَّابـه     البعيـد الهِمَّـةِ الصَّـعْبِ القِيـاد
مـدَّ في الفـتح وفي أطنابـه     لم يَقـف عنـد بِنـاءِ ابـن زياد[19]
هجـرَ الصـيد فمـا يُعْـنَى بـه     وهـو بالملـك رفيـقٌ ذو اصـطياد
سَـلْ بـه أندلسًـا هـل سَـلِما     مـن أخـي صيد رفيـق مَـرِسِ[20]

---

[17]البيهس: الأسد.

[18]شام: سلَّ.

[19]هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

[20]المرس: الشديد المجرب في الحروب، يقال: إنه لمرس حذر.

جــرَّد الســيفَ وهــزَّ القلمــا ورمــى بالــرأي أُمَّ الخُلَــسِ[٢١]

* * *

بســـلام يا شـــراعًا مـــا دَرَى مـا عليـه مـن حَيـاءٍ وسَـخَاء
في جَناح المَلَك[٢٢] الرُّوح جَرى وبـريحٍ حفهـا اللطـفُ رُخـاء
غسَـل الـيَمُّ جِراحَـاتِ الثَّـرى ومحـا الشِّـدَّةَ مـن يمحـو الرَّخـاءَ
هـل دَرى أنـدلس مـن قَـدِما داره مـن نحـو بيـت المَقْـدِسِ
بســـليل الأمَـــويِّين سَمـــا فـتحُ موسـى مُسْـتَقَرَّ الأسـسِ

* * *

أمَـــويٌّ للعُـــلا رحَلتُـــه والمعـــالي بمَطـــيّ وطُـــرُقْ
كـــالهلال انفـــردَت نُقْلتـــه لا يُجَاريـــه ركـــابٌ في الأفُـــق
بُنيـــت مـــن خُلُـــق دُولتُـــه قـد يَشـيد الـدُّوَلَ الشُّـمَّ الخُلُـقُ
وإذا الأخـــلاقُ كانـــت سُـــلَّما نالــت الــنَّجم يَــدُ المُلْــتَمِسِ
فـارْقَ فيهـا تَـرْقَ أسباب السَّما وعلـى ناصـيةِ الشـمس اجْلِـسِ
أيَّ مُلْـكٍ مـن بنـايات الهِمَـمْ أسَّسَ الـدَّاخلُ في الغـربِ وشـاد
ذلـك الناشـئ في خـيرِ الأمـم سـاد في الأرض ولم يخلـق يُسـاد
حكمـت فيـه الليـالي وحَكَـمْ في عَواديهـــا قِيـــادًا بِقيـــاد
سُـلِب العـزَّ بشـرقٍ فرَمـى جانـبَ الغـرب لعـزٍّ أقعـسِ
وإذا الخـــيرُ لعبـــدٍ قُسِـــما سـنَحَ السَّـعدُ لـه في الـنَّحَسِ

* * *

أيهـا القلـب أحـقٌّ أنـتَ جـارْ للـذي كـان علـى الـدهر يجـيرْ

---

[٢١] الخلس: جمع خلسة وهي الفرصة.

[٢٢] الملك الروح: جبريل.

ها هنا حلَّ به الرَّكب وسار — وهنا ثاوٍ إلى البعث الأسير
فَلَكٌ بالسعد والنَّحس مدارْ — صَرع الجامَ[٢٣] وألْوى بالمُدير
ها هنا كنتَ ترى حُوَّ الدُّمَى — فاتناتٍ بالشِّفاه اللَّعُسِ[٢٤]
ناقلاتٍ في العَبير القَدَما — واطئاتٍ في حَبيرِ السُّنْدسِ

* * *

خُذْ عن الدُّنيا بليغَ العِظةِ — قد تحلَّت في بِليغِ الكَلِمِ
طَرَفاها جُمعا في لَفظة — فتأمَّل طَرَفَيْها تَعْلَمِ
الأماني حُلُمٌ في يقظة — والمنايا يقظة في حُلُمِ
كُلُّ ذي سِقْطَيْن[٢٥] في الجوِّ سما — واقعٌ يومًا وإن لم يُغْرسِ
وسيلقى حَيْنه نَسر السما — يوم تطوى كالكتاب الدَّرِسِ
أين يا واحدَ مروانَ عَلَمْ — مَن دعاك الصقر سَمَّاه العُقابْ[٢٦]
رايةٌ صرَّفها الفَرْدُ العَلَمْ — عن وجوه النصر تصريفَ النقابْ
كنت إن جرَّدت سيفًا أو قَلَم — أُبْتَ بالألباب أو دِنْتَ الرِّقاب
ما رأى الناسُ سواه عَلَما — لم يُرَمْ في جُنَّةٍ أو يَبسِ
أعلى رُكن السِّماك ادَّعَما — وتَغطَّى بجنَاح القُدُسِ

* * *

قصرُك «المُنية» من قُرطبةِ — فيه وارَوْك ولله المَصير
صَدَفٌ خُطَّ على جوهرةٍ — بيد أن الدهر نَبَّاشٌ بصير

[٢٣] الجام: الكأس.

[٢٤] اللعس: سواد مستحسن في الشفة.

[٢٥] السقط: جناح الطير.

[٢٦] العقاب: اسم راية الداخل.

لم يـدع ظـلًّا لقصـر «المنيـةِ» وكـذا عمـر الأمـانيّ قصـير

كنـتَ صـقرًا قُرَشـيًّا عَلَمـا مـا علـى الصـقر إذا لم يُـرْمَسِ

إن تَسَـلْ أيـن قبـورُ العُظمـا فعلـى الأفـواه أو في الأنفُـسِ

* * *

كـم قبـورٍ زيَّنـت جيـدَ الثـرى تحتهـا أنحسُ مـن مَيْـتِ المجـوس

كـان مَن فيها وإن حـازوا الثرى قبل موت الجسم أموات النفوس

وعظـامٌ تَتَزَكَّـى عنـبرا مـن ثنـاءٍ صِـرنَ أغفـال الرمـوس

فاتخـذ قـبرَك مـن ذِكـرٍ فمـا تَـبنِ مـن محمـوده لا يُطْمَـسِ

هَبْك من حِرصٍ سكنت الهرما أيـن بانيـه المنيـعُ المَلْمَـسِ

## خلافة عبد اللّه بن الزبير

خليفـةٌ مـا جـاءَ حـتى ذهبـا ضـاع عليـه الـدمُ والمـال هبـا
الصاحبُ ابنُ الصاحب الكريمِ الجلـــلُ المَطلَـــبِ والغـــريمِ
ابـــنُ الـــزبير وكفـــى تعريفـــا إن الشـــريفَ يلـــدُ الشـــريفا
أبـــوه هَضْـــبةُ العـــلا الشَّـــمَّاءُ وأمـــه في الشـــرف الســـماءُ
مســـــتقبِلُ الأيامِ بالصـــــيامِ ومُتعـــبُ الظـــلام بالقيـــامِ
وأخـوَفُ النـاس إلا الليـلُ دجـا وأشـــجعُ النـــاس إذا تـــدجَّجا
وأطهـــرُ المعاهـــدين ذِمَّـــهْ وأكـــبرُ المجاهـــدين هِمـــهْ
وثبًـا مـن الخـوارج الشـدادِ إلى بـــني أميـــة اللـــدادِ
إلى مـــداراة بـــني العبـــاس والعَلـــويين الشـــدادِ البـــاس
فانتظمـتْ أهـلَ الحِجـاز بيْعتُـهْ واحتكمـت في البصـرتين شِـيعتُهْ
ودخـــل العـــراقُ في وَلائِـــهِ وخرجـتْ مصـرُ علـى أعدائِـه
فضـــاق مَـــرْوانُ بـــه ذراعـــا وانخرعـــت قدرتـــه انخراعـــا
بابن الزبير لا يقاسُ ابنُ الحَكَمْ لا تَرفـعُ الأحكامُ كـلَّ من حكـمْ
لا يســتوي مَــن عُمــرَه تحنَّفــا ومَــن رســولُ الله أقصــى ونفــى
مــروانُ لــيس للأمــور صــاحبا وإن غــدت لذيلِــه مســاحبا
جـرَّ علـى عثمـانَ مـا قـد جـرَّا أراد أن ينفعَـــــه فضـــــرَّا
ربَّ عـــدوٍّ عاقـــلٍ أشـــكاكا وربَّ ودِّ جاهـــــلٍ أبكاكـــــا
لكنـــه أبـــو النجـــوم الزُّهْـــرِ مصـابحَ الأمـر مُلـوكِ الـدهر
حـدِّثْ إذا باهـى الملـوكُ بالولـدْ عـن حَجَـر الأرض وبيضـةِ البلـدْ
يـدنو بنـو المنصـور مـن أبنائِـه في الرفـق بالملـكِ وفي بنائِـه

ما كسليمانَ ولا عبدِ الملكْ ولا الوليدِ عاهلٌ ولا مَلِكْ

* * *

لما أتى ابنَ الحَكَمِ الحِمامُ آل لعبد الملك الزمام

فيا شقاءَ ابنِ الزبير! ما لقي؟ لقد أُصيبَ بالدهيِّ الفيلق[1]

فتًى من النوابغ المُرَّادِ إن همَّ لم يُثنَ عن المرادِ

قد نضجت آراؤه غلاما ورُزِق الهمَّةَ والكلاما

وكان في الشرع شراعَ الأمَّهْ وفي الحديث مُستَقَى الأئمَّه

فاق فلولا بخلُه وغدرُهُ فات مقاديرَ الملوك قدرُهُ

ما زال في الشام إلى أن راضها ضمَّ قواها وشفى أمراضَها

فاجتمعتْ لذي دهاءٍ حُوَّلِي كعهدها بالأمويِّ الأولِ

رمى بها مجموعةً مُعدَّهْ إن النظامَ عَدَدٌ وعُدَّهْ

فظفرتْ بفِرَق الخوارجِ من داخلٍ في طاعةٍ وخارجِ

ولم تدعْ لابن الزبير جمْعا إلا أرها طاعةً وسمعا

بعد حروبٍ وائليةِ الحرَبْ لولا سُباتُ[2] الروم ضاعت العربْ

أحسَّتِ الملةُ فيها بالغررْ[3] ورُمِيَ البيتُ العتيقُ بالشررْ

وطاح فيها مُصعبٌ كريما يحمي كليث الغابة الحريما

وضاق عبد الله عن عبد الملك ورأيه الوضاءَ في الخطب الحلكْ

انصرف الكُرَّارُ والكُماةُ وانحرف الأنصارُ والحماةُ

أسلمه الأهلون حتى ابناه وخذلتْ شِمالَه يمناه

---

[1] الفيلق: الرجل العظيم.

[2] أي نومهم وغفلتهم.

[3] الغرر: الخطر.

فجـــاءَ أمَّـــه، ومَـــن كأمِّـــه؟ لعلهـــا تحمـــل بعـــضَ هَمِّـــهْ

والبيتُ، تحت قسْطلِ الحجَّاجِ وخيلُـــه أواخـــذُ الفِجـــاجِ

فقـال: مـا تَـريْنَ فـالأمرُ لـكِ للمـوت أمضـي أم لعبـد الملـكِ؟

قالـــت: بـــنيَّ وَلـــدَ القـــوَّامِ وابـــنَ العتيـــق القـــائمِ الصـــوَّامِ

انظـرْ فـإن كنـتَ لـدينٍ ثُـرْتَ فـلا تفـارقْ مـا إليـه سِـرتَ

أو كانـت الـدنيا قُصـارَى همتـكْ فبـئس أنـت، كـم دمٍ بـذمتك؟

الحقْ بأحرارٍ مضوْا قد أحسنوا فـالموتُ مـن ذلِّ الحيـاة أحسـنُ

ولا تقلْ هنتُ بوهْن من معي فليس ذا فعْلَ الشريف الألمعي

ومُـــت كريمًـــا أو ذُقِ الهـــوانا وعبـــثَ الغِلمـــان مـــن مـــرْوانا

أنت إلى الحقِّ دعوْتَ صحبَكا فـاقضِ كمـا قضـوْا عليـه نَحبَكـا

ولا تقـــلْ: إن مـــتُّ مَثَّلـــوا بي وطـافَ أهـلُ الشـام بالمصـلوبِ

هيهـات مـا للسَّـلخ بالشـاة ألمْ ورُب جِـذعٍ فيـه للحـق عَلَـمْ

وعانقَتْـــه فأحسَّـــتْ دِرعـــا قالـت: أضِـقْتَ بالمَنـون ذرعـا؟

مثلُـــك في ثيابـــه المُشَـــمَّره جاهَـدَ لا في الحلَـق المسـمَّرهْ

لا تمضِ فيها وأرح منها الجسدْ وامضِ بلا درعٍ كما يمضي الأسدْ

فنـــزع النشـــرةَ عنـــه وانطلـــقْ في قِلة يلقى العديدَ في الحلَقْ

فمـات تحـت المرهفـات حـرًّا لم يألُ خـــيرَ الأمهـــات بـــرًّا

## موت إبراهيم الإمام والبيعة لأخيه السفاح وخلافته

الأمــــرُ آلَ أحســـــنَ المـــآلِ — بــــيُمنِ إبـــــراهيمَ رأسِ الآلِ
فـتى العفـافِ والحجـى والنائـلِ — ومعـــدِنِ الأخـــلاقِ والفضـــائلِ
دعـــا القـــرى لأمـــره فلبَّـــتِ — وحضـــنَ الـــدعوةَ حـــتى شـــبَّتِ
ومـــات لا أقـــولُ في أثنائهـــا — بـــل وهـــي عنـــد مُنتهـــى بنائهـــا
نالتْــه في ناديـــه للقـــوم يـــدُ — وصِـيدَ في واديـه وهـو الأصْـيَدُ
أُلْقِـيَ في السـجن فكـان حُفْرتَـهْ — أماتـــه الله وأحيـــا أســـرتَهْ
بينـــا بـــه تَهَـــامَسُ النُّعـــاةُ — إذ بأخيـــه هتـــف الـــدُّعاةُ
بويـــع في الكوفَـــة للســـفَّاحِ — في ثَـــبَج الـــدعوة والكفـــاحِ
نعـــى أخـــاه ونعـــى أميَّـــهْ — وقـــام بالدولـــة هاشميَّـــهْ
في جمعـة مشـهودةٍ هـي المُـنَى — هـــشَّ إليهـــا عرفـــاتُ ومِـــنَى
فكانـتِ الكوفـةُ مَبَـزَغَ القمـرْ — قـد طلـع السـعدُ بـه على الزُّمَرْ
بُويـــعَ فيهـــا النَّفـــرُ الأعـــلامُ — ونال عُليـــا الـــدولِ الإســـلامُ
قـــام أبـــو العبـــاس بالإمامـــهْ — ابـــن جـــلا المُســـوَّد العمامـــهْ
فـــتًى تَضَـــاءَلُ الفُـــتِيُّ حولـــهْ — داعٍ لمُلْـــكٍ داعـــمٌ لدولـــهْ
كالبـــدر في سمائـــه بـــل أجمـــلُ — لو كان فوق الأرض بدرٌ يكملُ
قـــد رجـــع الأمـــرُ بـــه للأربَـــعِ — واجتمـــع الأمـــر لـــه في أربَـــعِ
ابـنُ الغيـوث لم يَعِـدْ إلا صَـدقْ — ولم يَجُـــدْ إلا اســـتهلَّ وغَـــدَقْ
ألـــينُ مـــن صَمصـــامةٍ وأقطَـــعُ — لا يعـرفُ الرحمـةَ حين يُقطَـعُ[1]

---

[1] أي يُعق وتُقطع رحمه.

قـد كـان بـين الـدولتين يـومُ ... عـزَّ بـه قـومٌ وذَلَّ قـومُ

التقـتِ الأحـزابُ بالأحـزابِ ... واقتتـل الجمعـان حـول الـزاب

نهـرٌ جـرى الأمـرُ العظـيمُ حولَـهْ ... عُبـور دولـةٍ ونشْـأُ دولَـهْ

وكـان مـروان أتمَّ فيلقـا ... وجنـدُ عبـد الله أوْفَى في اللقـا

فـأجزل الله مـن الإظهـار ... والنصـرُ لابـن السـادة الأطهـارِ

مـا غربـتْ شمـسُ نهـار البـاس ... حـتى بـدتْ شمـسُ بـني العبـاسِ

هـمْ أمَّلـوا كيوشـعَ الإدالـهْ ... والنصـرَ قبـل غيبـة الغزالـه

فكانـت النيـةُ ذات شـأنِ ... وكـادت الشـمس لهـم تسـتأني

تصـرمت دولـة عبـدِ شمـسِ ... ودبـرتْ أيامُهـم كـأمسِ

بعبـد شمـسٍ فـاز عبـدُ المطلـبْ ... لا كفءَ للغالـب إلا مـن غُلِـبْ

فمـذ خـلا الجـوُّ لسـيفِ هاشِـم ... هـبَّ هبـوب المسـتبدِّ الغاشِـم

المسـتبيح في دخـول البيـتِ ... هـلاكَ حـيٍّ وانتهـاكَ ميـت

فهتـك القبـورَ وهـي حُرمـهْ ... من مات فاترك للمُميت جُرْمه[٢]

ومنيـتْ أميـةٌ بسـاطِ[٣] ... أبـدلها النِّطـعَ مـن البِسـاطِ[٤]

وكـلُّ جُـرمٍ واقـعُ العقـابِ ... ولـو علـى الأنسـال والأعقـابِ

ثم قضـى مُقتبِـلَ الشـبابِ ... عـن دولـةٍ مُقبلـةِ الأسـبابِ

ففقـدتْ بـه القـرى حياهـا ... ومـات بالأنبـار مـن أحياهـا

---

[٢]أي ذنبه؛ لأن الميت لا يعاقبه إلا الله.

[٣]أي ذو سطو.

[٤]النطع: ما كان يفرش ليقتل عليه الناس.

## أبو مسلم الخراساني الداعي للعباسيين

الأصلُ في كلِّ بنايةٍ حَجرْ ... وإنْ زهتْ بالشُّرُفات والحُجَر

معتمدُ الأركان والقواعدِ ... وسنَدُ العالي بهن الصاعدِ

فإن وقفتَ مُطرِيَ البناءِ ... فاعطِفْ على الأساسِ في الثناءِ

وهذه الدولَةُ قد دعا لها ... وقاد في ظهورها رِعالَها

أغرُّ من سوابق الإسلامِ ... فوارسِ اللقاءِ والكلامِ

اختلفوا في أصِلهِ وفصلِهِ ... والسيفُ يومَ النسب ابنُ نَصلِهِ

فقيل: حرٌّ عربيُّ الوادي ... وقيل: عبدٌ من بني السوادِ

وقيل: كان يَدَّعي العباسا ... ويرتدي لهاشم لباسا

خاض الخراسانيُّ في العشرينا ... على بني أميَّةَ العرينا

فلقيتْ دَعوتُه رواجا ... ودخلتْ فيها القرى أفواجا

وقوبلتْ في الفرس بالمُحبَّذِ ... من كلِّ دهقانٍ وكلِّ موبِذِ[1]

لبخل مروانَ عليهم بالنِّعمْ ... وتركهم سُدًى كإهمال النَّعمْ

وقرَعَ الساقَ لها من العربْ ... من لا له في الأمويين أربْ

ربيعة انحازت إليها ويَمَنْ ... أظهرتا من ضَغَنٍ ما قد كمنْ

فكم جفاهما بنو مروانا ... واصطنعوا من مُضَرَ الأعوانا

وبالغوا في البِرِّ والقيامِ ... وشاطروها نِعَم الأيام

وهي لما يقترحون أجرى ... وهي على بني النبيِّ أجرا

جاءَ أبو مسلمٍ الخِراسِنِي ... أبدلها من رائقٍ بآسنِ

---

[1] أصلها موبذان وهو القائد الفارسي.

رُمُــوا بماضــي الحــدِّ لا يمــنُ[٢] داهيـــــةٍ في رأيـــــه كمـــــين

تقتــبسُ الشــبَّان مــن مَضــائِه وتَنــزِلُ الشّــيبُ علــى قضــائِه

يَصـــيدُ بالصــــلاة والصِّـــلاتِ وقـــــنصُ الـــــولاةَ بالـــــولاةِ

يُعينُـــــه قحطبـــــةٌ ذو البـــــاس أول قُـــــوَّادِ بـــــني العبـــــاس

بخــيلهم جــاب الــبلادَ وفَــرَى وقـــام بعـــدَه ابنُـــه مُظفَّـــرا

[٢] لا يكذب.

## الدولة العباسية

سِلْكٌ لآلٍ من بني الأعمامِ ... ومُلْكُ آلٍ من بني الغَمامِ
بجدِّهم في السَّنَة[1] استسقى عُمَرْ ... هزَّ الغمامَ بالغمام فانهمرْ
ودُولةُ الحق بدتْ للناسِ ... بين رضى الخَلْق والاستئناسِ
وعدُ النبيِّ في الحياة عَمَّهْ ... الله من بعدهما أئمهْ[2]
ولستَ تدري مَن بنى أساسَها ... أعجبُ، أم مَن شادها وساسها؟
أقبل يبنيها من الفتيانِ ... عِصابةٌ مُحسنةُ البُنيانِ
قد نفروا للأمر في أوقاتهِ ... والأمرُ يَستأنِسُ في ميقاتِه
وانتخبوا الأبطال للمجالِ ... والخيرُ في تخيُّر الرجالِ
ونقدوا الآراءَ والسيوفا ... فنَفَوُا الكلولَ[3] والزيوفا
سلُّوا خراسانَ ونعم الماضي ... في الأمر مستقبلِهِ والماضي
خفَّتْ لداعيهم ولبَّتْ الطلبْ ... واعتصمَ المأمونُ فيها فَغَلَبْ
لأهلها فيهم هوًى ونارُ[4] ... وفي مَهبِّ الريح تقوى النارُ
رَموْا بها فجدلوا أمَيَّهْ ... وكلُّ سهمٍ وله رَميَّهْ
بالشام صادوا الملكَ والإمامهْ ... ما بال بازيهم غدا حمامهْ
حقيقةٌ ليس لها مُفنِّدُ ... كل مُهنَّد له مُهَنِّدُ

---

(١) السنة: القحط.

(٢) إشارة إلى تبشير الرسول عليه السلام عمه العباس بالخلافة في بنيه.

(٣) الكلول التي لا تقطع.

(٤) نار الأولى: الرأي.

## أبو جعفر المنصور

استخلف المنصورَ في وصاتِه إن اختيار المرءِ من حَصاتِهِ
ابن أبيه وسراج بيتهِ الخلفاءُ لَمَحَاتُ زيتهِ
حَبرُ بني العباس، بحر العلمِ قطبُ رحى الحرب، مدار السِّلْمِ
فلم يكدْ بالأمر يستقلُّ حتى تلقَّى فتنةً تُسَلُّ
قد فرغ الأهلُ من الغريبِ واشتغل القريب بالقريبِ
ثار بعبد الله ثائرُ الحسدْ وزعم الغابَ أتى غيرَ الأسدْ
وأن مروانَ إليه سلَّما وأن يومَ الزاب يكفي سُلَّما
انقلب العمُّ فصار غَمَّا وفدح الأمرُ به وطمَّا
جاءَ نصيبينَ وقد شقَّ العصا فيمن بغى الفتنةَ صيدًا وعصى
ما فلَّ حدَّهمْ عن المنصورِ سوى أبي مسلم الهصورِ
سلَّ عليه سيفَه ورايَهْ فلم تقف لابن عليٍّ رايهْ
وهُزمَ الطاهرُ يوم النهرِ وعرف القاهرُ طعمَ القهرِ
ومن يحاول دولةً ومُلْكا يُلاقِ نُجحًا أو يُلاقِ هُلْكا

* * *

واستطرد الحَيْنُ بُنوَّةَ الحسنْ واجتمعوا فامتنعوا على الرسَنْ
وطلبوا الأمرَ وحاولوا المَدَى وبايعوا راشدَهم مُحمَّدا
وكان مقدامًا جريئًا مِحَربا طاح على حدِّ الظُّبا في يثربا
فثار إبراهيمُ للثاراتِ وأزعج المنصورَ بالغاراتِ
فوجئ والجيوشُ في الأطرافِ بنهضة الدهماءِ والأشرافِ
اضطرب الحجازُ والعراقُ وشغب الغواةُ والمُرَّاقُ

فلم تَفُلَّ النائباتُ عزمَهْ ... ولم يَكِلَّ عن لقاءِ الأزمَهْ

تدارك الشدةَ بالأشِدَّا ... من كلِّ مَن لمثلها أعدَّا

وكان يستشيرُ في المصائبِ ... وهو أخو الرأي السديد الصائب

أمرٌ له كلاهما قد شمَّرا ... وجرَّدا السيفَ له بأحمرا[1]

فكان بين هاشمٍ من حربِ ... ما كان بينها وبين حربِ[2]

وكان في أولها للطالب ... على قنا المنصور عزُّ الغالبِ

لولا المقاديرُ القديرةُ اليدِ ... لأحرز السيِّدُ مُلْكَ السَّيدِ

كرَّتْ عساكرُ الإمام كرَّهْ ... على جنود الحسَنِيِّ مُرَّهْ

عدتْه عن دعوته العوادي ... وأسعف الدهرُ أولي السدادِ

وطاب للشريف الاستشهادُ ... فيما يخال أنه جهادُ

فطاح لم ينزلْ عن الكُميْتِ ... وهكذا أنباءُ هذا البيتِ

وكثُر القتلى وراح الأسرَى ... على فوات الوَفَياتِ حَسْرَى

سيقوا إلى يزيدَ أو زيادِ ... لكن من القرابةِ الأسيادِ

فلم يذق كالحسَنيّين البَلا ... ولا الحُسَينيُّون يوم كربلا

مُنُوا بقاسي القلب ليس يرحمُ ... وليس تثنيه عليهم رَحِمُ

لو طمعتْ في مُلكهِ أولادُه ... شفاهمو من طمعٍ جلَّادُهُ

هذا أبو مسلم التَّيَّاهُ ... غرَّتْه في دولتهم دنياهُ

فطال في أعراضهم لسانهْ ... ولم يَقُمْ بمَنّهِ إحسانُهْ

ونازع الآل جلال القدْرِ ... ونافستْ همَّتُه في الصدرِ

دعواه في دعوتهم عريضَهْ ... لولاه ظلتْ شمسُها مريضهْ

---

[1] موضع كان على فراسخ من الكوفة.

[2] حرب بني أمية.

وهـو لفضـل الطـاهرين ناسِ وما لهم في الحب عند الناس

وما علـوْا لـه مـن المُهمَّـهْ وبذلوا من مدهشات الهمَّهْ

ومـوت إبـراهيم حتـفَ فيـهِ فِـدًى لأمـرهم وحبًّـا فيـهِ

فـوغِرَ الـوالي عليـه صـدرا يُظهـر عطفًـا ويُسِـرُّ غـدرا

وصاحبُ الدعوة ضافي الدعوى يرفـلُ، فيهـا نخـوةً وزَهـوا

تطلبُـه الـدماءُ كـل مَطلَـبِ لا بـدَّ للظـالم مـن مُنقَلَـبِ

فكـم أدراهـا علـى المَنـونِ وكـم أراقهـا علـى الظنـونِ

هـذا الـذي حمـى أُميـةَ الكـرى كـان أبـو جعفـرَ منـه أنكـرا

قـد يقـع الثعلـبُ في الحُبَالـهْ وتتَّقِـي الفراشـةُ الذُّبالـهْ

أفـنى الفضـاءُ حيلـةَ الخُراسِـي وعصـفت رياحُـه بالراسـي[3]

وسـاقَهُ الحَـيْنُ إلى الإمـامِ والـنفس تسـتجرُّ[4] للحِمـام

فجـاءَه في موكِـبٍ مشـهودِ وفي مـدارعٍ مـن العهـود

أريـدَ بالـداعي الـردى ومـا دَرَى وكـلُّ غـدَّارٍ مُـلاقٍ أغـدرا

فمُكِّنـتْ منـه سـيوفُ الهنـدِ وظفـر الفِرَنـدُ بالفِرَنـدِ

أصـيبتِ الدولـةُ في غنائهـا وسـقط البَنَّـاءُ مـن بنائهـا

* * *

الخلفـاءُ ولـدُ المنصـورِ وعصـرُه الزاهـي أبـو العصـورِ

إن اسـتهلَّتْ بالـدماءِ مُدَّتُـهْ فمـا وقاهـا الهـيج إلا شِـدَّتُهْ

ومـن يَقُـمْ بمُلكـهِ الجديـدِ يَقُـدْه بالحريـر والحديـد

لا تَـرجُ في الفتنـة رِفْـقَ الـوالي قـد يُـدفع الحُكَّـامُ بالأحـوالِ

---

[3] الجبل.

[4] تنقاد.

انظـــرْ إلى أيامـــه النواضـــرِ وظِلِّهـا الـوارف في الحواضـرِ

عشـرون في المُلْـكِ رفَقْـنَ أَمْنـا وفِضْـنَ نعمـاءَ، وسِـلْنَ يُمْنـا

خلافــةٌ ثبَّتهــا قواعــدا ثم ترقَّـى بالبنـاءِ صـاعدا

أدرُّ مـن صـوْب الغمـام دخـلا علـى أشـد الخلفـاءِ بُخـلا

يخـافُ في مـالِ العبـاد اللهَ مـا تَبـع الـدنيا ولا تلاهـى

للسـلم آلاتٌ وللحـرب أُهَـبْ جمـاعهن في الممالـك الـذهبْ

وحـوَّل المنصـورُ مجـرى العهـدِ أخَّـر عيسـى وأقـام المهـدي

فكـان في تقديمـه الإصـلاحُ وفي بنيـه الخـيرُ والفـلاحُ

ولا تسـلْ عـن هِمَّـةِ العقـولِ ونهضـةِ المعقـول والمنقـولِ

وكثـرةِ الناقـلِ والمُعـرِّبِ عن حكمةِ الفُرسِ وعلم المَغرِبِ

واخـتطَّ بغـدادَ علـى التسـديدِ دارًا لمُلْـكٍ يسِـرٍ مَديـدِ

كانـت لأيام البهاليـل سِمَـهْ ومِهرَجَـانَ مُلْكِهـم ومَوسِمَـهْ

يـنجمُ فيهـا النـابغُ السـعيدُ وينجُـب المقتـبس البعيـدُ

## دولَة الفاطميِّين

مَن جعل المغربَ مطلع الضحى وسـخَّر البربـر جنـدًا للهـدى
وصـرَّف الأيامَ حـتى أحـدثتْ ما كان في الأحلام أحلامَ الكرى
وأظفـر الصـابر بالـنُّجح فيـا هزيمـة اليـأْس ويا فـوز الرجـا!
ونقَّـلَ الدولـةَ في بيـت الهـدى فلـم تـزُلْ عـن طُنُـبٍ إلا إلى
سـبحانَه المُلْـكُ إليـه ولـه يؤتيـه أو ينزِعُـه ممـن يشـا

* * *

قـام إمـامٌ مـن بـني فاطمـةٍ خليفـة ثم تـلاه مـن تـلا
مـا عجـبي لملكهـم كيـف بُـني بـل عجـبي كيـف تأخَّـر البنـا
جـدُّهمو لا ديـن دون حُبِّـهِ وأمُّهـم بالأمهـاتِ تُفتـدَى
ومـذ مضـى مضـطهَدًا والـدُهم أصـبح بالمضـطهَد اهـتمَّ المـلا
أجلَّهـم عِلْيـةُ كـلِّ حِقبـةٍ وخصَّـهمْ فيهـا السـوادُ بالهـوى
والفـرس والـتركُ جميعـا شِـيعةٌ لهـم يَـروْن حُـبَّهم رأس التُّقـى
فشـهِد الله لهـم مـا قصَّـروا القتـل صـبرًا تارة وفي اللقـا[1]
كـم ثار مـنهم في القـرون ثائـرٌ بالأمـويين وبالآل الرضـا
هـذا الحسـين دمُـه بكـربلا روَّى الثرى لما جرى على ظما
واستشـهد الأقمـارُ أهـلُ بيتِـهِ يهـوُون في الـترب فـرادى وثُنـا
ابـن زياد ويزيـدُ بغَيَـا واللهُ والأيامُ حـربُ مـن بغـى

---

[1] تعرضوا للقتل صبرًا؛ أي في الحبوس، وللموت تحت ظلال السيف.

لـولا يزيـدُ بادئًا مـا شـربتْ مـروانُ بالكـأْس الـتي بهـا سـقى

* * *

وثار للثـارات زيـدُ بـن علـي ابن الحسين ابن الوصيّ المرتضى

يطلـبُ بالحُجـة حـقَّ بيتـه والحـقُّ لا يُطلـبُ إلا بالقنـا

فـتًى بـلا رأيٍ ولا تجربـةٍ جرى عليه من هشامٍ ما جرى

اتخـذ الكوفـةَ درعـا وقنـا والأعزلُ الأكشفُ مَنْ فيها احتمى

مَـن تكْفِـه الكوفـةُ يعلَـمْ أنهـا لا نصـرَ عنـد أهلهـا ولا غَنـا

سـائلْ عليًّـا فهـو ذو علـمٍ بهـا واسـتخبرِ الحسـينَ تعلـمِ النبـا

فمـات مقتـولًا وطـال صَـلْبُهُ وأُحرقـتْ جثتُـه بعـد البلـى

* * *

علـى أبي جعفـرَ ثارتْ فتيـةٌ مـا أنصـفوا والله في شـق العصـا

هـم أهـلُ بيـت الحسـن الطـاهر أو مـن شـبَّ مـن بيـت الحسـين ونمـا

أيطلبـون الأمـرَ والأمـرُ لهـم قـد قـرَّ في بيـت النـبيّ ورسـا

يحمِـلُ عـنهم همَّـهُ وغَمَّـهُ أبنـاءُ عـمٍّ نُجُـبٌ أُولـو نُهـى

فليـت شـعري كـان ذا عـن حسَـدٍ أم بُخلـه[2] بلَّغهـم إلى القلـى؟

محمـدٌ رأسـهمو في يثـربٍ والقومُ في الأطرافُ يُذكون[3] القُرى

وأمـرُ إبـراهيمَ في البصـرة قـد زاد وكوفـانُ كمِرجَـلٍ غـلا

مُلمَّـةٌ لـو لم تصـادفْ هِمَّـةً لأودت الدولـةُ في شـرْخ الصـبا

قـام إليهـا مَلِـكٌ مُشـمِّر في النائبـات غـيرُ خَـوَّار القُـوى

سـاق إلى الـدار خميسًـا حازهـا وقتـل المهـديَّ عنـد الملتقَـى

---

[2] أي بخل المنصور.

[3] يهيجونها.

وكــان بــين جيشــه بأخمــرا ... وبــين إبــراهيم يــومٌ ذو لظــى

لم يصدُقِ ابنَ الحَسَنِ النصرُ به ... أصبح ضاحكًا وأمسى قد بكى

مــات بســهمٍ عاشــرٍ لم يَرمِــهِ ... رامٍ ولكــنَّ القضــاءَ قــد رمــى

فلا تسلْ عن جيشه أين مضى ... ولا تسلْ عن بيته ماذا التقى

هارِبُهم ليس يرى وجهَ الثرى ... ولا يرى مسجونُهُمْ غيرَ الدُّجى

* * *

ومــا خــلا خليفــةٌ مُســوَّد ... من طالبيٍّ يطلبُ الأمرَ سُدى

يُقتَلُ، أو يزجُّ في السجن به ... أو يتــوارى أو يُبيــده الفــلا

يرجــون بالزهــد قيــامَ أمــرهمْ ... والزهدُ من بعد أبيهم قد عفا

لـو دامـتِ الـدنيا علـى نُبـوَّةٍ ... لكان للناس عن الأُخرى غنى

تخلَّقــوا نبــذَ المشــورات فــلا ... ينــزل مــنهم أحــدٌ عمــا يــرى

مــن لا يــرى بغــيره وإن رأى ... بعينَيِ الزرقاءِ[4] كان ذا عمى

وقلَّمــا تخــيروا رِجــالهمْ ... إن الرجال كالفصوص تُنتقَى

قد خالف المأمونُ أهل بيتِه ... حبًّا بأبناءِ الوصيّ وحِبا[5]

من أجلهم نضا السوادَ[6] ساعةً ... فقال قومٌ: خلع الوالي الحيا

ولــو سَــهَا قــوَّادُه وآلُــه ... لقلَّدَ العهدَ عليَّ بن الرضا

فما خلتْ دولته من ثائرٍ ... قد قطع الطرقَ وعاث في الحمى

جــيءَ بشــيخٍ عَلــويٍّ زاهــدٍ ... فقبِــل البيعــة بعــد مــا أبى

تأمــرُ باسمــه وتنهــى فِتيــةٌ ... لحيتُــه بيــنهمُ لمــن لَهَــا

---

[4] زرقاء اليمامة، يُضرب بها المثل في حدَّة الصبر.

[5] الحباء: العطاء.

[6] لباس بني العباس وشعارهم.

مـن أهـل بيتـه ولكـن فزعـت — مـن جَـوْرهم وفِسـقهم أمُّ القـرى

ورُبَّ غـادٍ مُـنِيَ الحـجُّ بـه — وخُـوِّف الخيـف ولم يأمـن مِـنى

وكـان زيـدُ النـار في أيامهـم — والآخـرُ الجـزَّار عـاث وعتـا

فظهـر الجنـدُ علـيهم وانتهـى — تائـبهمْ إلى الإمـام فعفـا

فهـؤلاءِ لم يشـيِّنْ غـيرُهمْ — سمْـعَ بـنى حَيْـدَرةٍ ولا زرى

مـن حظِّهـمْ أنْ صـادفوا خليفـةً — في قلبـه لهـم وللعفـو هـوى

ولم تَـزَلْ تمضـي القـرونُ بالـذي — أمضـى مُصَـرِّمُ القـرون وقضـى

حـتى حبـا الله بـني فاطمـةٍ — مـا مـات دونَـه الأبـوَّة العُـلا

مـاطلَهم دهرهـو بحقِّهـمْ — حتى إذا ما قيل: لن يفي، وَفَى

مـا لأوانٍ لم يـئنْ مُقـدِّمٌ — ولا يـؤخَّر الأوان إن أتـى

* * *

سـار إلى المغـربِ مـن شِـيعتهم — فتًى غزيرُ الفضل موفورُ الحجى

تشَّـيعتْ[7] مـن قبلـه آباؤهُ — فرضـع النيـة فـيهم واغتـذى

مـن أهـل صـنعاءَ ودون عزمـه — ما صنعتْ من كلِّ ماضٍ يُنتَضى

وأيـن داعٍ بسـيوف قومـهِ — وآخـرٌ أعـزلُ شـطَّتْه النـوى

يُصْـبِحُ مطلـوبًا ويُمسـى طالبـا — مـا قعـدتْ طُلَّابُـه ولا ونى

يُبشِّـرُ النـاسَ بهـادٍ جـاءَهم — وأن مَهْـدِيَّ الزمـان قـد أتـى

حـتى تملَّـك العقـول سـحرُهُ — إن البيـانَ نفثـاتٌ ورُقَـى

ولم يـزل مُتَّبَعًـا حيـث دعـا — للفـاطميِّ ظـافرًا حيـث غـزا

مهمـا رمـى بخيلـهِ ورَجْلِـهِ — في بلـدٍ أذعـن، أو حصـنٍ عنـا

فلـم يـدعْ مـن عـربٍ وبربـرٍ — ولم يغـادرْ مـن صـحارَى ورُبى

---

[7] تظاهر آباؤه بالدعوة الفاطمية.

أجلى بني الأغلَبِ عن أفريقيا ... عن الجنانِ والقصورِ والدُّمى
لابس أقوامًا، تحلَّى بالتقى ... بينهمو وبالفضيلة ارتدى
قدوةُ أهل الدين إلا أنه ... في أدب الدنيا المثالُ المُحتذى
ثم رمى المَغربَ فاهتز له ... وحثَّ نحو سجلماسةَ الخُطا
قاتَلها نهارَه حتى بدا ... لأهلها الليل فلاذوا بالنجا
فجاءَ فاستخرج من سجونها ... تبرَ خلالٍ كان في الترب لَقًا[٨]
أتى به العسكرَ يمشي خاشعا ... مكفكفًا[٩] من السرور ما جرى
وقال: يا قوم اتبعوا واليَكم ... هذا الخليفة ابنُ بنت المصطَفى
وترك المُلك له من فوره ... وسار في ركابه فيمن مشى
انظرْ إلى النيَّةِ ما تأتي به ... والدينِ ما وراءَه من الوفا
ولا تقلْ لا خيرَ في الناس فكم ... في الناس من خيرٍ على طُولِ المدَى

* * *

اضطلع المَهدِيُّ بالأمر فما ... قصَّر في أمر العباد عن هدى
وحمل الناسَ على الدين وما ... يأمُر من رشدٍ وينهى عن عمى
انتظمتْ دولتُه أفريقيا ... وارفةَ الظلِّ خصيبةَ الذُّرا
وأصبحت مصرُ، وأمرُ فتحها ... أقصى وأعصى ما تمنَّى واشتهى
كم ساق من جيش إليها فثنى ... عسكرَه القحطُ وردَّه الوبا
وفتنة من الغيوب أومضتْ ... قلَّبتِ المغربَ في جَمْرِ الغضا
صاحبُها أبو يزيدٍ فاسقٌ ... يُريد أمرَ الناس محلولَ العُرا
وكل مالٍ أو دمٍ أو حُرَّةٍ ... لناهبٍ وسافكٍ ومَن سبى

---

[٨] مطروحًا.

[٩] أي مكفكفًا دمع الفرح.

يا حبــذا المــذهبُ لا يرفضــه	من قعد الكسْبُ به ومَن غوى

مــات عُبيْــدُ الله في دُخانهــا	وتعِــبَ القــائمُ بالنــار صِــلَى

فُضَّــتْ ثغــورٌ وخلــتْ حواضِــرُ	وأمــرَ الطــاغي عليهــا ونهــى

بالمــالِ والــزرعِ وبالأنفــسِ مــا	أنسى الوباءَ والذئابَ والدَّبَا[10]

ثم قضــــى محمــــدٌ بغمّــــهِ	والشــرُّ باقٍ والـبلاءُ مـا انقضـى

فلــم تنــلْ أبا يزيـــدٍ خيلُــه	ولا قنــا لــه الكنانـــةَ القنــا

ارتــدَّ عــن مصــرَ هزيمًــا جنــدُه	يشكو من الإخشيدِ مُرَّ المشتَكَى

واســتقبل المنصــورُ أمــرًا بــدَدا	ودولــةً رثَّــتْ وســلطانًا وهَــى

نارُ الـزَّناتِيِّ مشـت علـى القـرى	وغــيَّرَ الســيفُ الــديارَ ومحــا

فكـان في هـوج الخطـوب صـخرةً	وفي طريــق الســيلِ شمَّــاءَ الـرُّبا

مكافحًـــا مقـــاتلًا بنفســـهِ	إن خاب لم يرجعْ، وإن فاز مضى

لم يألُ صـاحبَ الحمـار[11] مَطلبـا	في السـهل والوعر وسيرًا وسُرَى

فأنقــذَ المُــدْنَ وخلَّــص القــرى	وطهَّـرَ الأرضَ مـن الـذي طغـى

وتــرك المُلْــكَ ســلامًا لابنــهِ	والأمـرَ صـفوًا والأقـاليم رضـى

فــتًى كمــا شــاءَت معــالي بيتِــه	عِلمًــا وآدابًا وبأسًــا ونَــدَى

تقيَّــل الأقيــالَ مــن آبائــهِ	وزِيــدَ إقبــالَ الجــدود والخُطــا

قـد حسَّـنَ المُلْـكَ المُعِـزُّ وغـدتْ	أيامُــه للــدين والــدنيا حُلَــى

أحــاط بالمغــرب مــن أطرافــهِ	ودان منــه مــا دنا ومــا قصــا

جـاءَت مـن البحـر المحيط خيلُـهُ	تحمـل منـه الصـيْد حيًّا ذا طـرا

حــتى ربــتْ وَكَثُــرتْ جموعُــه	ووفـــر المـــالُ لديـــه ونمـــا

---

[10] الجراد.

[11] لقب الثائر الزناتي.

فاستحوذتْ مصرُ على فؤاده — وقبلَه كم تيَّمتْ له أبا

فاختار للفتح فتًى مُختبَرا — مَعدِنُه، فكان جوهرُ الفتى

سيَّره في جحفلٍ مُستكمِلٍ — للزاد والعُدَّةِ والمال الروى[١٢]

فوجد الدار خلتْ واستهدفتْ — بموت كافور الذي كان وقَى

فلا أبو المِسْكِ بها يمنعُها — ولا بنو العباسِ يحمون الحمى

قد هيئت فتحًا له لم يدَّعِمْ — على دم الفتيان أو دمع الأسى

فإن يفتْ جوهرَ يومُ وقعةٍ — فكم له يومًا بمصر يُرتضى

اعتدل الأمرُ على مقدمِهِ — وكان ركنُ المُلكِ ميلًا فاستوى

وجرتِ الأحكامُ مجرَى عَدْلها — وعرَف الناسُ الأمانَ والغنى

كم أثرٍ لجوهرٍ نفيسُهُ — إلى المُعزِّ ذي المآثر اعتزى

الجامعُ الأزهرُ باقٍ عامِرٌ — وهذه القاهرةُ التي بنى

وقل إذا ذكرتَ قصريْهِ بها — على السدير والخوَرْنقِ العفا

ودان أعلى النيل والنوبُ به — للفاطميين وقدَّموا الجِزى[١٣]

وخضع الشامُ ومن حِيالَهُ — من آل حَمْدانَ فوارسِ اللقا

إلا دمشق اغتُصبتْ ولم تزلْ — دمشقُ للشيّعةِ تُضمرُ القِلى

وأتتِ الدارُ[١٤] بني فاطمةٍ — وانتقلَ البيت إليهمْ وسعى

فصارت الخطبةُ فيهما لهمْ — والذكرُ في طُهْرِ البقاعِ والدُّعا

حتى إذا الملكُ بدا اتساقُهُ — ونظَمَ السعدُ لجوهرَ المُنَى

أتى المعزُّ مصرَ في مواكبٍ — باهرة العِزِّ تكاثرُ الضُّحَى

---

[١٢] الكثير.

[١٣] جمع جزية.

[١٤] الدار المدينة دار الرسول.

واستقبل القصران يومًا، مثلُه ... ما سمع الوادي به ولا رأى

خزائنُ المَغربِ في رِكابِهِ ... تباركتْ خزائنُ الله المِلا[15]

فاجتمع النيلُ على مُشبهِهِ ... وغمَر الناسَ سخاءً ورخا

وابنُ رسول الله أندى راحةً ... وجودُه إن جَرَح النيلُ أسا

الأرض في أكناف هذا أجدبتْ ... وذا أزاح الجدبَ عنها وكفى

ولم يزلْ أبو تميم يشتهي ... بغدادَ والأقدارُ دون ما اشتهى

حتى قضى عند مدى آماله ... لو تعرفُ الآمالُ بالنفس مدى

انتقل المُلكُ فكانت نُقْلَةً ... من ذِروة العزِّ إلى أوْج العُلا

جرى نِزارٌ كمَعَدٍّ للمدى ... كما جرت على العُصيَّةِ العصا

إن يكُ في مِصرَ «العزيزَ»[16] إنَّه ... من المحيط مُلكُه إلى سَبَا

المُسرجُ الخيلَ نضارًا خالصا ... والمُنعِلُ الخيلَ يواقيتَ الوغى

لم يخلُ من جدٍّ بها أو لَعبٍ ... من الميادين إلى حَرِّ الرحى

مُلْكٌ جرى الدهرُ به زاهوًا وما ... أقصرَه مُلاوةً إذا رها[17]

مضى كأيام الصِّبَا نهارُهُ ... وكليالي الوصل ليلُه انقضى

كان العزيزُ سدَّة الفضل التي ... انقلب الراجون منها بالحِبَى

لآل عيسى مِن نَدَى راحته ... وآل موسى قبسٌ ومُنتشَى

وكان مأمونَ بني فاطمةٍ ... كم كظم الغيظ، وأغضى، وعفا!

أوْدى فغاب الرفقُ واختفى الندى ... وحُجِبَ الحِلْمُ وغُيِّب الذكا

وحكم الحاكِمُ مصرَ، ويحَها! ... قد لقيَتْ من حُكمِه جَهدَ البَلا

---

(15) الملاء.

(16) العزيز: وارث المعز.

(17) لان وطاب.

أتعبَهـــا مُخـــتلَطٌ مختَبَـــلٌ يهـــدِمُ إن ثار ويبـــني إن هَـــدَا

ولم تـــزلْ مـــن حَـــدَثٍ مُسَـــيَّرٍ إلى فليـــل العـــزم واهـــنِ المَضَـــا

حـــتى خبـــا ضـــياءُ ذاك المنتـــدَى وعَطِلَ القصـران مـن ذاك السـنا

عفـــا بنـــو أيـــوبَ رسـمَ مُلْكِهـم وغادروا السلطان طامِسَ الصدى

وجمعـــوا النـــاسَ علـــى خليفـــةٍ مـــن وَلَـــدِ العبـــاسِ لا أمـــرَ ولا

سبحان من في يـده المُلْـكُ ومَـنْ لـيس بجـارٍ فيـه إلا مـا قضـى

* * *

فيـــا جـــزى الله بـــنى فاطمـــةٍ عـن مصـرَ خـيرَ مـا أثاب وجـزى

وأخـــذ الله لهـــمْ مـــن حاســـدٍ في النســب الطـاهر قـال ولغـا

خلائـــفُ النيـــل إلـــيهم يُنتمَـــى إذا الفُراتُ لبني الساقي[١٨] انتمى

تلـــك أياديهـــمْ علـــى لبَّاتِـــهِ مفصـــــلات بالثنـــــاءِ تُجتلَــــى

كـــم مُـــدُنٍ بنَـــوْا ودورٍ شـــيَّدوا للصـــالحات هاهنـــا وهاهنـــا

هم رفعوا الإصلاح مصباحًا فما مـن مُصـلحٍ إلا بنـورهم مشـى

والكـــرمُ المصـــريُّ ممـــا رسمـــوا بمصـرَ مـن بِـرٍّ وسنُّوا مـن قِـرَى

وكـــلُّ نَـــيْروزٍ بمصـــرٍ رائـــعٍ أو مهرَجـانٍ ذائـعٍ هـمُ الألَى[١٩]

هـــمْ مزَّقـــوا دروعهـــم بـــراحِهم وكســـروا بهـــا الرمـــاحَ والظُّـــبى

لا العَربَ استبقَوْا وهم قومهمو ولا رعـــوْا للمغـــربيينَ الـــوَلا

قـد ملَّكـوا الأبعـدَ أمـرَ بيـتهِمْ وحكَّمـــوه في العشـــائر الـــدُّنى

وأنزلـــوا السُّـــنَّةَ عـــن رُتبتهـــا ورفعـــوا شِـــيعتَهم ومَـــن غـــلا

وصـــيَّروا المُلـــكَ إلى صـــبيانهم فوجـد الفرصـة مـن لـه صَـبا

---

[١٨] الساقي: العباس.

[١٩] أي هم الذين كانوا الأصل في إيجاده.

ازداد بغـــيُ الـــوزراء بيـــنهم وأصـبحوا هُـم الملـوكَ في المـلا

خليفـــةُ الـــرحمنِ في زاويـــةٍ مـن الخمـول، والـوزيرُ ابـنُ جـلا

# الفهرس